كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - الإسكندرية

تأملات
في
سفر إشعياء

(الأصحاحات من ١ إلى ٢٨)

القمص لوقا سيداروس

اســم الكتــاب: تأملات في سفر إشعياء
الأصحاحات من ١ إلى ٢٨
إعـــــــــداد: القمص لوقا سيداروس
الناشـــــــــر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج
المطبعـــــــة: مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط
موبايل: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢
رقــم الإيــداع: ٢٠١٠/ ١١٣٠٣
الترقيم الدولي: I.S.B.N.: 978 - 977 - 392 - 201- 6

□

الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

تقديم

سفر إشعياء هو إنجيل الخلاص في العهد القديم تستطيع عند قراءته بإلهام الروح القدس أن تتقابل وجهًا لوجه مع الرب يسوع مخلِّص البشرية. تتقابل معه من أول ميلاده إلى صلبه وقيامته وحلول روحه القدوس. فليس في الكتاب المقدس إعلان عن ميلاد السيد المسيح وأسمائه العجيبة بقدر ما أعلن إشعياء. وليس في الكتاب المقدس مواجهة مع الصليب بصورة أروع مما سجل إشعياء. أما مياه الروح القدس، مياه الخلاص التي نادى المسيح عنها في يوم العيد العظيم قائلاً: "**إن عطش أحد فليقبل إليَّ**"، فهذه سجلها العظيم في الأنبياء إشعياء في أبهج صورة مفرحة في الأصحاح (٥٥).

وحديث إشعياء عن التوبة والصوم والاتضاع والصلاة والفرح هو أعمق ما سُجّل في الكتاب المقدس... فمفاهيم الصوم روحية عميقة (٥٨)، والاتضاع يكشف عن طبيعة الإنسان في عمق روحي، والتوبة هى طريق الالتقاء بالمُخلِّص وهى صوت إشعياء طول السِفر.

أية خسارة جسيمة تعود على المسيحي الذي يهمل قراءة هذا السفر؟ فاقرأه ككنز غني وكنهر تنهل من مائه الحي.

ولقد كانت المكتبة القبطية يعوزها جدًا دخول أبنائها إلى شرح هذا السفر والكشف عن كنوزه وأسراره ونشكر الله أن يخرج هذا الجزء كباكورة لبركة كبيرة يقدمها الأب لوقا سيداروس. الله قادر أن يتمجّد في الكتاب وفي حياة قرائه وكاتبه لحساب ملكوته آمين.

القمص بيشوى كامل

مقدمة

إشعياء النبي

إشعياء معناه "خلاص الله" أو "الله خلاصي".

كان النبي في العهد القديم آلة في يد الله، طيعة على قدر ما سمحت الطبيعة البشرية الضعيفة أن تجود وهى تحت سلطان الخطية والموت... وقد كلَّم الرب الإله الآباء قديمًا والأنبياء بطرق متنوعة... تنوعت حسب الزمان وظروف الإنسان... ولم يترك الرب طريقًا يُكلِّم به الإنسان من أجل بلوغه معرفة الخلاص، ومن أجل إعلان حبه للإنسان... لم يترك الرب طريقًا إلا وتوسط بها لتتميم إرادته الصالحة المرضية الكاملة.

فصارت بذلك حياة النبي وسيلة إعلان أمام الشعب أو كما يعبِّر الكتاب نفسه "**جعلتك آية للشعوب**". فحياة النبي آية للشعب وكل ما يصنعه به الرب يكون مثلاً قدام الشعب.

وليس أدل على ذلك من قصة هوشع النبي الذي أمره الرب أن يحب امرأة زانية ويلتصق بها ويتزوجها... وكان الرب نفسه يعبِّر للشعب عن حقيقة ارتباط الرب القدوس بالبشرية الذاهبة وراء العالم ووراء شهواته في الزنى والبُعد عن الله. وهكذا أيضًا كانت حياة حزقيال النبي بكاملها وحياة بقية الأنبياء آية للشعوب.

على هذا النحو جاء اسم إشعياء قرينة مذهلة للرسالة التي حمَّله الرب الإله بها منذ أن أرسله إلى الشعب متنبئًا عن خلاص الله العتيد أن يُعلن أمام الأجيال.

وليس عجيبًا أن يحمل إشعياء النبي هذا الاسم وهو الأول بين جميع الأنبياء عن إعلاناته الخلاصية والمتفرد بنبوات إعجازية عن خلاص ربنا يسوع

العجيب.

شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة

هكذا يوضح الروح القدس هدف كل نبوات الكتاب والقصد الإلهي في كل كلمة كتبت في الأسفار... لأنه لم يتكلم إنسان من ذاته ولا بإرادة إنسان جاءت نبوة في زمان ما. بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس لكي يشهدوا عن المسيح ولكي يعلنوا للدهور المقبلة أسرار حبه وعهد الفداء الذي أكمله على الصليب من أجلنا.

وشهادة إشعياء النبي – عن المسيح – من أجل وضوحها الشديد جاءت كأنها مكتوبة في أيام التجسد الإلهي... فقارئ سفر إشعياء يكون كمن يقرأ أحد أسفار العهد الجديد أو كمن يقف كشاهد عيان لحياة ربنا يسوع في الجسد في إعلانات نبوية ورؤى كمثل رؤى العين وتفاصيل دقيقة مبدعة عن ميلاده البتولي الطاهر إلى دقائق حياته وخدمته وآياته ومجد لاهوته وآلامه وموته الكفاري المحيي بأدق تفاصيل الإهانات والتعييرات التي لصقت بالرب لأجلنا... إلى قيامته ثم غنى مجد المسيح في كنيسته... ثم ختام نبوات إشعياء بحلول الروح المعزي على الكنيسة في يوم الخلق الجديد كختام القصد الإلهي الذي أُكمل فينا.

حياة إشعياء

لذلك لا نعجب ما دام الهدف هو الشهادة ليسوع المسيح – لا نعجب أن يخلو شعر إشعياء من الإشارة إلى حياة إشعياء الشخصية وإن كان قد شمل بعض النواحي في حياته... التي من خلالها تكلَّم الرب إلى بني إسرائيل... مثل زواجه من النبية، ومثل إنجابه ولديه الذين إلتزم إشعياء أن يسميهما بأسماء رمزية كأمر الرب وهما "شآر ياشوب" الذي معناه البقية ستخلُص و"مهير شلال حاش بز" ومعناه عجِّل بالغنيمة وأسرع للسلب.

على أننا من خلال السفر نعلم أن إشعياء استؤمن نبيًا للرب وخادمًا له مدة تزيد على الخمسين عامًا إذ خدم الرب خدمة النبوة في أيام الملوك عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا على التوالي وكان معاصرًا الأنبياء عاموس وهوشع وميخا النبي.

وقد سبق مجيء المسيح بحوالي ٧٦٠ سنة ويذكر التقليد الكنسي أنه كان ينتسب إلى عائلة الملك آنذاك كما يذكر التقليد أيضًا أن منسى الملك أمر بنشره فنشروه بمنشار خشب فمات ولم تمت كلمة الحق في قلبه ولا من فمه حتى فاضت روحه وهو شاهد للرب شهيد للحق كيوحنا بن زكريا السابق للرب.

فيبدو كم كان إشعياء متمسكًا بكلمة الحق في قوة وسلطان الروح ... بل إننا نتمثله في شجاعة الروح التي وقف بها أمام آحاز ملك يهوذا حين صرخ في وجهه **"أقليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي أيضًا"**... وحينما يقف ليبكّت الشعب بكلمات الروح القدس ونخسه الشديد قائلاً: "الشعب الثقيل الإثم ... الأمة الخاطئة... أولاد مفسدين تركوا الرب... استهانوا بقدوس إسرائيل".

هكذا يبدو واضحًا أن الرب قد جمّل حياته بروح القوة وروح الشهادة فاستحق أن ينال إكليل الشهادة كختم لحياة النبوة وصدقها.

+ والكتاب الذي بين يديك هو محاولة بسيطة للتأمل في هذا السفر الغني

واستخلاص لبعض المعاني الروحية والغرض هو تشجيع القارئ للعهد القديم وفتح أبواب للتأمل أمامه والتعرف على ينابيع النعمة المذخرة في بقية أسفار النبوات.

+ وقد وردت آيات إشعياء النبي كثيرًا في العهد الجديد وقد جاءت أسفار العهد الجديد متضمنة أكثر من ٩٠ آية من إشعياء النبي.

+ وقد أعطت الكنيسة أهمية خاصة لسفر إشعياء، فرتبته ضمن القراءات النبوية الهامة في طقس باكر أيام الصوم الكبير، فيُقرأ فصل من إشعياء النبي بصفة أساسية في جميع أيام الصوم تقريبًا، كما تُقرأ فصول منه في معظم ساعات أسبوع الآلام... كما تقرأ فصول منه في صلوات اللقان في خميس العهد وعيد الرسل الأطهار وعيد الغطاس.

القس لوقا سيداروس

الأصحاح الأول

١. "رؤيا إشعياء بن آموص، التي رآها على يهوذا وأورشليم، في أيام عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا".

إن معظم نبوات إشعياء النبي هى عبارة عن رؤى أعلنها له الرب الإله في مواقف مختلفة وأوقات كثيرة حسب التدبير الإلهي... وبعد هذه الرؤى معروف المكان والزمان كرؤيته في الهيكل في سنة وفاة عزيا الملك (ص ٦) والبعض الآخر لم يُعلن عن مكانها أو زمانها بالتحديد.

والرؤيا تكون غير الحلم الذي يراه النائم... إذ في حالة الرؤيا يكون النبي في يقظة كاملة وصحو ... غير أن الحواس الجسدية وقوى الفحص العقلي – التي تُعطِّل وضوح الرؤيا بسبب العجز والقصور – هذه القوى تكون في سكون.

أو كما يقول القديس بولس الرسول: "**أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم**".

وقد عبَّر عنها أيضًا القديس يوحنا الرائي قائلاً: "**وللوقت صرت في الروح**".

إذًا هى حالة روحية تعمل فيها النعمة على إزالة العوائق البشرية المُعطلة وتدخل النبي مجال التقديس بفعل إلهي فيرى رؤى الله.

أما موضوع هذه الرؤيا فهو إعلان فكر الله من جهة مملكة يهوذا وأورشليم في فترة الملوك الذين ذكرهم...

إن الله يعلن فكرهُ دائمًا لقديسيه ويُعرفهم مشيئته وقصده... وبالأكثر عندما يمتلئ كأس غضب الله من جهة شعب وتكمل أيام دينونتهم... فيكشف الله بمحبته الفائقة عن أعين قديسيه كما كلَّم نوح قائلاً: "إن نهاية كل بشر قد أتت أمامي" ولا يخفي عن أعينهم ما هو صانعه. كما قال قديمًا: "هل أُخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله" (تك ١٨: ١٧). وهكذا صنع الرب مع يونان ومع باقي الآباء والأنبياء القديسين، لعلهم بإنذارهم وكرازتهم ومناداتهم يكونون سبب توبة وسبب خلاص... وهنا يبدو هدف الرؤى واضحًا من جهة الله أنه لا يشاء موت الخاطئ... بل يُسرّ برجوعه إليه.

وهنا تبدو مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان كم هى رحيمة حقًا!! فإن كان الحال هكذا مع الشعوب والمدن القديمة... وهكذا تجلّت مراحم إلهنا... فكم وكم يكون من جهة مملكة يهوذا ومملكة أورشليم مدينة الملك العظيم... ورمز أورشليم السمائية.

هكذا أعلن الرب رؤياه لإشعياء من جهة يهوذا وأورشليم لكي إن سمعوا ولم يقسّوا قلوبهم يكون لهم خلاص ونجاة من قبل الرب.

٢. "اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلَّم: ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليَّ".

قد تكون هذه مناداة إشعياء على السماء والأرض عندما سمع صوت الرب الإله كما قال موسى النبي في القديم: "اِنصتي أيتها السموات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي".

وقد يكون هذا صوت سمعه إشعياء النبي من ملاك الرب ينادي على السموات والأرض بالسكون والإصغاء.

وقد يكون هو صوت الرب نفسه للسماء والأرض لأن السماء كرسيه والأرض موطئ قدميه.

وفي جميع الأحوال فإن المناداة على السموات والأرض يكون للشهادة على أعمال الناس نحو الله...

فالسماء شهدت فجور الناس وظلمهم وزيغانهم.

والأرض من اللحظة الأولى التي نزل إليها الإنسان تصرخ من الشوك ومن دم هابيل المُهرق عليها.

ومن العجيب حقًا أن الخليقة غير الناطقة ممتثلة لكلمة الرب وخاضعة لناموسه الإلهي فهو قال فكانت ومازالت ملتزمة بالكلمة أما الإنسان فخالف الناموس وعصى الوصية وخرج عن طاعة إلهه... لذلك يشهد الرب الخليقة غير الناطقة الخاضعة لله "السماء والأرض" يشهدها على الإنسان غير الخاضع لله.

الرب يتكلم: يبدو واضحًا من بداية النبوة أن الله هو المتكلم وليس إنسانًا... وعندما يتكلم الله فكلمته تكشف لنا عن طبيعته وحبه وفكره نحونا وسر مشيئته التي

قصدها في نفسه...

ربيت بنين ونشَّأتهم، أما هم فعصوا عليَّ.

أبوة الله: إن أول ما تكشف لنا كلمة الله من طبيعته الفائقة هى الأبوة ... فالله أب ومصدر كل أبوة في العالم والمسيح كلمة الله جاء لكي يعرفنا الآب في طبيعته العجيبة... وليس أحد يعرف الآب إلا الابن ولا الابن إلا الآب ومن أراد الابن أن يعلن له.

هذا اكتشاف خطير لو لم يعلنه لنا الله بروحه لصرنا غرباء عن الله، والله في بداية الحديث معنا يتحدث عن أبوته وتعب محبته، فالأبوة دائمًا باذلة ودائمًا غافرة "الابن يخطئ والأب يسامح" وها موسى يتكلم مع الشعب قديمًا قائلاً: "أليس هو أباك ومقتنيك، هو عَمِلك وأنشأك؟" (تث ٣٢: ٦).

أما عن تعب محبته معنا فاسمع القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول: "كراع صالح سعيت في طلب الضال، كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط، ربطتني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة، أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض، أعطيتني الناموس عونًا، أنت الذي خدمت لي الخلاص لمَّا خالفت ناموسك... الخ".

وتأمل أيضًا كلام الرب بفم موسى بذات المعنى:

"إن قسم الرب هو شعبه... وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشَّه وعلى فراخه يرفّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه... أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلاً من حجر، وزيتًا من صوان الصخر..." (تث ٣٢: ٩-١٤).

وماذا أيضًا أنه يعوزنا الوقت لو تذكرنا أمثلة من احسانات ربنا واجتماعه بشعبه وتربيتهم بالناموس والأنبياء والتأديبات المختلفة والرؤى والأحلام والآيات والعجائب، ويكفي أن تقرأ قصة النفس البشرية في حزقيال ١٦ كيف اقتناها السيد الرب وكيف أنشأها ورباها وكانت عارية وعريانة وليس لها من يرق لها أو يشفق عليها.

أما هم فعصوا عليَّ: لقد قيل قديمًا "أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم، جيل أعوج ملتو. ألرَّب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًا غير حكيم؟" (تث ٣٢: ٥ – ٦).

+ إن عصيان البنين غير عصيان العبيد... لأن جرح الأحباء هو أقسى ما تحتمله النفس... "لو كان العدو عيرني لاحتملت"، ولكن أن يكون العصيان من البنين... يُقال لهم: "فرأى الرب ورذَلَ من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل مُتقلِّب، أولاد لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ١٩، ٢٠).

لقد كمل فيهم قول المزمور: "جازوني بدل الخير شرًا".

+ فإن كانت هذه الكلمات تبكيتًا لخطايا الشعب في أيام إشعياء فإنها تصير لنا بالأكثر سبب رجوع وتوبة. لأن السماء شهدت نزول الرب إلينا وصعوده بجسدنا، والأرض شاهدة بأعماله التي صنعها فينا من المذود إلى الصليب والقبر. وها نحن صرنا بالحقيقة أولاد الله، وهو ولدنا بالروح القدس في المعمودية، وربانا ونشأنا لا بالمثال ولكن بروحه المحيي، وبأكل جسده وشرب دمه ليس في خيمة مؤقتة ولكن في كنيسته الدائمة. أبعد هذا يقال **عصوا عليَّ؟**

٣. "الثور يَعرِف قانيَهُ والحمار مِعْلَف صاحِبه، أما إسرائيل فلا يَعْرف. شعبي لا يفهَمُ".

إن هذه الحيوانات غير الناطقة تعرف صاحبها الذي اقتناها والذي يعطيها طعام... هذه بالغريزة الحيوانية لها قدرة على التمييز... فهل صار الإنسان أقل منها في انجذابه نحو خالقه الذي اشتراه وأبوه السماوي الذي يعطيه طعامه في حينه وكأن الرب الإله يقول: إن كنتم لا تعرفوني كأب أو تقتربون مني كإله... فعلى الأقل بسبب الأعمال التي أعملها معكم "إن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال".

ليت إحسانات الرب معنا تقودنا إلى معرفته فندرك أننا ملكه ونحيا كذلك... ونعرف مكان شبعنا الذي هو المذود الحقيقي الذي نأكل منه خبز الحياة.

إسرائيل لا يعرف، شعبي لا يفهم: شعبي هلك لعدم المعرفة، بسبب الجهل وعدم

المعرفة تتغرب النفس عن الله ولا تعرف شمالها من يمينها. وأما الآن فنحن نشكر الله لأننا في يسوع المسيح صرنا خرافَهُ الخاصة نعرف الراعي الصالح ونعرف صوته ونفهم مشيئته ونتبعه حتى إلى الجلجثة.

٤. "ويل للأُمَّة الخاطئة، الشعب الثَّقيل الإثم، نَسل فاعِلي الشر، أولاد مفسِدين! تركوا الرب، استهانوا بقدُّوس إسرائيل، ارتدُّوا إلى وراء".

الأمة الخاطئة:

+ إن خطية إنسان واحد قد تُكدِّر الشعب كله وتنجِّس الجماعة مثل خطية عاخان بن كرمي، وانحراف يربعام بن نباط ونجاسة إيزابيل امرأة آخاب.

+ فإن صارت الأمة كلها خاطئة فماذا يكون حالها؟

ليت الشعب يتذكر أيام الطوفان والعالم القديم الذي كابد مصيره المحزن... وليته يتذكر انقلاب سدوم وعمورة وكيف حكم الرب عليهما بالخسف وجعلهما عبرة للعتيدين أن يَفجُروا.

+ إن مدينة نينوى التائبة تفتح أمامنا بابًا للرجاء لتوبة الأمة كلها.

الشعب الثقيل الإثم:

الله وحده هو الذي يعرف ثقل خطايانا لأنه كان عتيدًا أن يحملها عنا في المسيح يسوع... لأنه هو حَمل الله حامل خطية العالم كله.

نسل فاعلي الشر:

إن الخطية ضربت جذورها في أجيال الشعب... فكمل فيهم قول الكتاب أنهم حيات أولاد أفاعي، وقد خاطبهم الرب يسوع قائلاً أنتم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وآباؤكم قتلوهم... أكملتم أنتم مكيال آبائكم.

حقًا شهد استفانوس أيضًا وقال: يا قساة القلوب أنتم دائمًا تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم أيضًا.

أولاد مفسدين:

صاروا خميرة شريرة... يفسدون الآخرين بسلوكهم النجس وحياتهم الباطلة ومعاشرتهم الردية... أفسدوا قلوب السلماء وأفسدوا بساطة البسطاء... فاستحقوا الويل الذي قاله الرب: "الويل لمن تأتي بسببه العثرة – خير لذلك الإنسان أن يعلق بعنقه حجر الرحى ويطرح في اللجة".

تركوا الرب: قال آخاب الملك قديمًا لإيليا النبي عندما التقى به بعد سنين الجفاف: أنت مُكدر إسرائيل؟ فأجابه إيليا النبي بقوة الروح: "بل أنت وبيت أبيك يترككم الرب".

والرب يتساءل قائلاً: "ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنِّي وساروا وراء الباطل" (إر ٢: ٥).

ليس شر أعظم من هذا أن يترك الإنسان الرب ويلتصق بالعالم ويبيع نفسه عبدًا للخطية. "شعبي عمل شرَّيْن: تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم أبآرًا، أبآرًا مشقَّقة لا تضبط ماء" (إر ٢: ١٣).

استهانوا بقدوس إسرائيل: إن الذي يدوم في الخطية تزداد رباطاته كل يوم ويتعمّق في الشر ويتقدم في الفساد "ضالين ومضلين" فالعدو الشيطان لا يترك فريسته في مرحلة واحدة ولكنه كل يوم يزيد عليها أعمال السخرة ورباطات العبودية.

هذا الشعب ترك الرب إلهه... هذه مرحلة خطيرة في الحياة الروحية ولكن هناك مراحل أخطر وأكثر شرًا "استهانوا بقدوس إسرائيل" انتهت مخافة الرب في قلوبهم وامتلأوا استهتارًا واستخفافًا بكل كلامه ووصياه.

ارتدوا إلى الوراء:

وهذه أيضًا مرحلة أخرى أكثر خطورة حولوا للرب القفا لا الوجه... قيل عن الرب يسوع من تلك الساعة رجع كثير من تلاميذه إلى وراء ولم يعودوا يمشون معه ولما قال لبقية التلاميذ أتريدون أنتم أيضًا أن تمضوا. أجاب بطرس قائلاً: يارب إلى

من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك.

ومكتوب أيضًا: "أمَّا البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتدّ لا تُسرُّ به نفسي. وأمَّا نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" (عب ١٠: ٣٨- ٣٩) إن الارتداد إلى الوراء هو إنكار الإيمان وهلاك النفس.

٥. "علـى مَ تُضـربون بعـد؟ تـزدادون زَيَغانًـا! كـل الـرأس مـريض، وكـل القلب سَقيمٌ".

يؤدب الرب أولاده دائمًا لأنه أي ابن لا يؤدبه أبوه؟ والتأديب يُرى دائمًا أنه للحزن فيأخذ شكل الضربات والآلام... ولكنه يعطي الذين يتدربون ثمر بر للسلام والرب يسوق هذه التأديبات ليحفظ أولاده من الدينونة وليردهم عن ضلال طريقهم.

فإن لم تكن التأديبات مجدية فلماذا يؤدب... وإن كان الشعب بلغ إلى حالته المؤسفة من تركهم للرب واستهانتهم بقدوس إسرائيل وارتدادهم إلى وراء، فلم يصبح للتأديب جدوى، ولا نفع للضربات. بل على العكس إذ وقع عليهم شيء من التأديب أو الضربات فإنهم يزدادون زيغانًا ويجدفوا كما هو مكتوب في سفر الرؤيا عن الذين ضُربوا بالضربات ولم يتوبوا (رؤ ١٦: ٩، ١١).

إن هناك فرقًا بين نفوس تؤدب من الله فتنمو في النعمة ونفوس لا تحتمل حتى كلام التوبيخ. قال الحكيم في سفر الأمثال: "لا توبّخ مستهزئًا لئلا يُبغضك. وبّخ حكيمًا فيُحبك ... أمَّا الجاهلون فيحتَقرون الحِكمَةَ والأدب" (أم٩: ٨ ، ١: ٧).

كل الرأس مريض وكل القلب سقيم:

قرأت أيضًا هذه الآية هكذا: كل رأس مريض وكل قلب سقيم فإن كان الشعب كجسم واحد صار رأسه مريضًا وقلبه سقيمًا، وإن نظرنا إليه كأفراد فإن كل واحد فيهم رأسه مريض وقلبه سقيم، وإن يكن هذا أو ذاك فهو تعبير عن مرض الخطية المُزمن وأسقام الروح القاتلة التي انطرح فيها الشعب المسكين.

الرأس مريض: معناها لا قوة على تدبير ولا إرادة في عمل وصايا الله.

القلب سقيم: معناها لا عاطفة ولا حرارة ولا حركة حب نحو الله.

هكذا صار موقفهم نحو الله... جمود وجحود... وعلة مرض أصابت صميم الجسد فشل تفكيره وتحجرت مشاعره وليس هذا فقط مرض في الرأس وسقم في القلب ولكن يعود الله فيقول: أن كل الجسد قد ضُرب بالمرض.

٦. "**من أسفل القَدَم إلى الرأس** (من أحقر إنسان إلى الرئيس في الشعب)، **ليس فيه صحَّة، بل جُرحٌ وأحبَاطٌ وضربةٌ طريَّةٌ لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُليَّن بالزيت**".

وهنا يكشف الرب أمام أعين شعبه أنه رغم الجراحات القاتلة ونزف الدم وقيح جروح الخطية لم تبذل أدنى محاولة للإنقاذ ولم يتحرك أحد نحو خلاص نفسه.

إن نازفة الدم سعت نحو الرب في وسط الزحام تلمس ثوبه والمرأة الخاطئة طلبته باجتهاد في بيت الفريسي... وزكا العشار وهو مضروب بمرض محبة المال صعد على جميزة لكي يراه ... بل إن الملدوغين بسم الحية قديمًا سعوا لينظروا الحية النُحاسية... وجميع الذين نظروا نجوا...

من صار بليدًا مثل هذا الشعب؟... من يُجرح ولا يجري لنجاة ويطلب خلاصًا؟ من يصير مريضًا هكذا ولا يطلب طبيب الأرواح والأجساد. ألا يوجد في هذا الشعب كله نفس مثل الكنعانية ؟

إن منظر هذا الشعب المسكين كمثل الإنسان المسافر الذي وقع بين لصوص الشر فعروه من النعمة وجرحوه بسهام الخطية وشهوات الجسد فصار ينزف دم الحياة وتركوه بين حي وميت... ليس من يرق له أو من يفدي حياته إلا ذلك السامري الصالح رب الحياة الذي يشفي منكسري القلوب ويجبر جميع كسرهم ويصب من زيت وخمر شفائه على جراحاتهم ويحملهم على دابته ويرد لهم حياتهم في فندق كنيسته بسر دمه المسفوك ومحبته الإلهية.

٧. "بلادكم خربةٌ. مُدُنكم مُحرَقَةٌ بالنار. أرضُكُم تأكلها غرباء قُدَّامَكُم، وهي خربةٌ كانقلاب الغرباء".

بعين النبوة رأى إشعياء النبي ما سيحل بالبلاد من خراب ودمار وحرق بالنار ونهب محصولات الأرض وقد تم هذا زمنيًا في أيام السبي... ولكن أليست هذه النتيجة الحتمية لترك الرب والاستهانة بقدوس إسرائيل والارتداد إلى خلف؟

لقد سبق الرب فأنذر شعبه بفم موسى قائلاً: "إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه... تأتي عليك جميع هذه اللعنات.. ملعونًا تكون في المدينة وملعونًا تكون في الحقل... تبني بيتًا ولا تسكن فيه... ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه... الخ" (تث ٢٨: ١٥. الخ).

لقد أهلك الرب شعوبًا كثيرة وأمر بخراب بلادهم وحرق مدنهم وحرمها لأنها كانت مراكز لعبادة الأوثان وسلطان الشيطان فإن تشبَّه شعب الله بالشعوب الغريبة وتركوا الرب إلههم واستهانوا بقدوس إسرائيل، فإنهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا.

إن البلاد التي لم تقبل قدوس إسرائيل تصير خربة.

+ أورشليم التي لم تقبل أن يملك الرب عليها أن يجمع أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم يريدوا قال لهم: هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا.

+ إن منظر البلاد الخربة والمدن المحرقة بالنار منظر يدعو إلى الأسى ويجلب الدموع والنوح ويستوجب الحزن وكآبة القلب.

إنه منظر النفوس التي كانت مُدنًا لله وهياكل مُقدسة ولكنها وقعت في يد المُخرِّب، فهدم أسوارها وأحرق أبوابها بالنار.

من لنا اليوم بنحميا ويجلس ويبكي ويصوم أيامًا...

من لنا اليوم بإرميا لكي يبكي ليلاً ونهارًا قتلى الخطية وخراب المدن القديمة.

٨. "فبقيَت ابنة صهيون كمظلَّةٍ في كَرم، كخيمةٍ في مقثأةٍ، كمدينةٍ مُحاصرةٍ".

هكذا تصير المدينة التي قيل عنها أساساتها في الجبال المقدسة، وقيل أيضًا الجبال حولها.. وقيل أورشليم المبنية على جبل... من أجل الحفظ والعناية، وقيل عن أسوارها أن الرب أقام حُراسًا لا ينعسون نهارًا وليلاً، وقيل عن أبوابها أحب الرب

أبواب صهيون... وأن أعمالاً مجيدة قيلت من أجلك يا مدينة الله ولكن أورشليم الأرض.. وابنة صهيون في حالة التخلي من الله بسبب الخطية وجدت كأنها مظلة مكشوفة وكخيمة عارية ظاهرة ضعيفة في مقثأة (حقل قثاء) لا تستطيع أن تختبئ عن أعين طالبيها أو مطارديها...

هكذا النفس إن احتمت بالرب فهو برج حصين وصخر الدهور وترس ومجن وإن تركت قدوس إسرائيل تصير فريسة سهلة في أيدي أعدائها.

٩. "لَولا أن رب الجُنود أبقَى لنا بقيَّةً صغيرة، لصِرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة".

هنا الحديث عن البقية حديث شهي للنفس جدًا، فدينونة الخطية أكيدة والغضب مُنسكب لا محالة والرب مُنتقم من جميع فجور الناس، ولكن هناك بقية صغيرة وفي وسط كل هذه الأعاصير يسمع عن بقية للخلاص، على أننا نرى في هذا الوعد الإلهي أمورًا غاية في الأهمية.

(١) إن رب الجنود هو الذي أبقى لنا هذه البقية:

فهذه البقية موجودة بوعد إلهي ليس برًا بشريًا ولا لأجل خير صنعته ولا لأجل استحقاقات ولكن هو الذي أبقانا.

فلو كان حسب أعمال الإنسان لم يخلص أحد فقد تقرر أن جسم البشرية كلها ضارب في الفساد ليس من يعمل صلاحًا ولا من يستحق نجاة... لكن رب الجنود... صاحب القدرة والقوة واليد الشديدة والذراع الممدودة... مرسل النعمة صانع الخلاص هو الذي أبقى لنا بقية حسب مواعيده السابقة بالخلاص وحسب محبته الشديدة لجنسنا.

(٢) إن هذه البقية صغيرة ولكن لولاها لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة... وهذه البقية في حقيقتها الآن هم أولاد الله... القطيع الصغير التي لولاها لَدين العالم ووقع تحت حُكم الموت... هم ملح الأرض ونور العالم... إن العالم كله يتوقع استعلان أبناء الله.

وهذه البقية الصغيرة هى خميرة العالم... فيها قوة الله للعمل وقوة الله للخلاص قادرة بالنعمة أن تنجي العالم من فيضان الغضب.

(٣) إن هذه البقية قادرة أن تكشف لنا مراحم إلهنا وأبوته الصادقة فهو يُبقي لنفسه بقية ركب لم تجثُ لبعل ويقيم لنا في كل قرن خلاص. فربنا وإن بدى منتقم من الشر غاضب على الخطاة إلا أنه كثير الرحمة والإحسان... أُنظر ماذا يقول بلسان هوشع النبي فإنه بعد أن يُعلن غضبه قائلاً: "يثور السيف في مدنهم ويتلف عصيَّها، ويأكلهم من أجل آرائهم. وشعبي جانحون إلى الارتداد عني... أجعلك كأدمة"... يعود فيتكلم بفيض مراحم إلهية قائلاً: "قد انقلب عليَّ قلبي. اضطرمت مراحمي جميعًا" (هوشع ١١: ٦. ٨).

(٤) إن هذه البقية الصغيرة لم تكن ظاهرة أمام أعين الشعب وقد رآها النبي بعين الرؤيا النبوية، فالمختارون من أبناء الله مُتسربلين باتضاع سيدهم. وهم في علاقة سرية بإلههم، وهم مجهولون من العالم كما قال يوحنا الحبيب: "لا يعرفنا العالم" ولكنهم معرفون من الله.

من أجل هذه البقية قال الرب أنه يُقصر أيضًا أيام الضيق التي تكلَّم عنها عند مجيئه الثاني: "من أجل المختارين تُقصَّر تلك الأيام".

إن مجرد وجود هذه البقية بركة للأرض كلها.. وقد حفظ الرب لنفسه آلاف الرُكب التي لم تجث للبعل وهم أعضاء الكنيسة البقية الباقية من جيل إلى جيل... قيل عن الأنبا بولا أول السواح أن الرب من أجله كان يمطر على الأرض كلها.

١٠. "اِسمعوا كلام الرب يا قُضاة سَدُوم! أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة".

هذه مناداة من إشعياء النبي إلى رؤساء الشعب وقد دعاهم قُضاة سدوم من أجل ظُلمهم واستحقاقهم العقاب وإلى الشعب الضال المسبي بسبب الخطية كما كان شعب عمورة.

وهو ينادي بمناداة خلاص ودعوة توبة قائلاً: **اسمعوا كلام الرب وأصغوا إلى شريعة إلهنا**، فالكلمة صادقة تؤدب الجهال وتَحكُم العميان وتقيم الساقطين والشريعة مُقدَّسة وصالحة. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا... فرغم أنهم صاروا كقضاة سدوم وشعب عمورة ولكن مراحم إلهنا لا تَعرف حدود وكلمته وشريعته تستطيع أن تُقيم من المزبلة وتُنجي وتَخلص إلى التمام إذا ما أعطوا أُذنًا صاغية.

١١. "لماذا لي كثرة ذبائحِكم، يقول الرب. اتَّخَمت من مُحرقات كباش وشَحم مُسمَّنات، وبدم عُجول وخرفان وتيوس ما أُسرُّ.
١٢. حينما تأتون لتظهروا أمامي، من طَلَب هذا من أيديكُم أن تدُوسوا دوري؟
١٣. لا تعودوا تأتون بتقدِمَةٍ باطلة. البخور هو مَكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفَل. لست أُطيق الإثم والاعتكاف.
١٤. رؤوس شهوركُم وأعيادُكم بغضَتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مَلِلْتُ حَمْلَها.
١٥. فحين تبسُطون أيديكُم أستُر عينيَّ عنكم، وإن كَثَّرتم الصلاة لا أسمَع. أيديكم ملآنةٌ دمًا".

دخل الشيطان إلى صميم العبادة وأفسدها ولم يدخل فقط في حياة الشعب ويحرف مساره في الحياة اليومية بل حتى العبادة أيضًا حولها عن حقيقتها كاتصال بالله وخلاص النفس إلى شكليات لا طائل من ورائها... بل على العكس صارت مكرهة أمام الرب.

الاكتفاء بشكليات العبادة أراح ضميرهم من جهة الله وافتكروا في أنفسهم مثل العشار الذي يؤدي أمورًا مفروضة عليه وأنهم بذلك ينالون رضى الله وافتكروا أنهم أغنياء ولا حاجة لهم إلى شيء وهم مساكين وعُمي وبائسون وقريبون من الهلاك واللعنة.

لماذا لي كثرة ذبائحكم؟ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات،

إن كثرة الذبائح التي أمر بها الرب في الناموس كان من أجل كثرة الخطايا وأنواعها. وحقيقة أن عمل الخطية المُفسد في النفس البشرية متعدد النواحي وهذا ما استلزم تكرار الذبائح وكثرتها، وإن كانت في مجملها وفي تفصيلاتها تشير إلى ذبيحة المسيح المبارك الذي قدم نفسه ذبيحة عن خطايا العالم كله.

والهدف الأساسي من تقديم الذبائح هو التكفير عن الخطايا وتطهير الجسد والتوبة والرجوع إلى الله.

فإن اختفت تمامًا ملامح التوبة والطهارة من حياة الشعب فما بالهم يُقدمون ذبائح كثيرة للرب؟ ألعل الله تُرضيه كثرة الذبائح دون تغير الحياة؟ وما بالهم يُقدمون ذبائح بأيديهم للرب وقلوبهم قد تَركت الرب واستهانت بقدوس إسرائيل وارتدت إلى وراء.

إن لم يكن تقديم الذبيحة دليل التوبة وختم على صدق النية وعَزم القلب على الرجوع إلى الله – تصير الذبيحة مكرهة أمام الرب.

قال الرب لجماعة الفريسيين: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُعشِّرون النعناع والشبث والكمون، وتركتُم عنكم أثقل الوصايا: الحق والرحمة. حقًا قال الرب: "أريد رحمة لا ذبيحة" فإلهنا لا يُسرّ بالمحرقات، فالذبيحة لله روح منسحق والقلب المتواضع لا يرذله الله.

+ والملاحظ أنَّ الشعب كان يُقدم ذبائح ومُسمنات عجول وخرفان وتيوس ولم يذكر أنه قدم ذبيح بها عيب أو ليست حسب الطقس ولم يُذكر أنهم كانوا يقدمون ذبائح لوثن أو إله آخر وبتدقيق فريسي في المواعيد والأعياد والشهور والسبوت ولكن بلا حياة وبلا ثمر وبلا تغيير. وبالاختصار بلا إيمان حي بل شكليات وفروض ميتة لا تكمل الذين يخدمونها من جهة الضمير بل ولا تُقدس من جهة الجسد.

لذلك نسمع عبارات "اتخمت من محرقات" – "بدم عجول لا أُسرّ" لست أطيق الإثم والاعتكاف – أبغضتها نفسي – صارت عليَّ ثُقلاً – أستر عيني عنكم — لا أسمع.

وهذا يوضح لنا أنه ما من شيء مكروه ومرذول أمام إلهنا بقدر العبادة الشكلية والاكتفاء بمظهر التقوى والمواظبة وصورة القداسة وثوب الحملان بينما الحياة في واقعها أبعد ما تكون عن الله.

+ حينما تأتون لتطهروا أمامي من طلب من أيديكم هذا أن تدوسوا دوري.

لقد تراءوا أمام الرب وظهروا بشكل الفريسي الذي وقف يُصلي قائلاً: اللَّهم أني أشكرك أني لست مثل سائر الناس الخاطئين الظالمين الزناة ... فخرج من لدن الرب بلا بر وبلا بركة.

وقد كشف الرب علتهم في مثل هذا المثل – أنهم قوم واثقون بأنفسهم أنهم أبرار وهم يدينون الآخرين.

وقد أخرج الرب يسوع من الهيكل أولئك الذين كانوا يدوسون دوره ويدنسون مقادسه وقال لهم: بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وهم كانوا بحجة تقديم الذبائح يسيئون إلى الرب ويجعلون بيته بيت تجارة.

+ أما عن الأعياد والمواسم والتذكارات فمعروف أنها وضعت من أجل تذكارات أعمال الله المجيدة مع شعبه ولأجل انتقال خبرة الإيمان الحي من جيل إلى جيل (لا ٢٣).

فإن لم تصر هذه من أجل الله بل صارت أشياء بشرية وشعارات قومية يفتخرون بها ولا يعيشون فيها... وقد نسبها الرب إليهم قائلاً: ذبائحكم – رؤوس شهوركم وأعيادكم... أي أنها لم تعد من أجل الله فبقيت الأعياد واختفى عن أعينهم قدوس إسرائيل.

فحين تبسُطون أيديكُم أستُر عينيَّ عنكم، وإن كَثَّرتم الصلاة لا أسمَع. أيديكم ملآنةٌ دمًا.

إن علة عدم استجابة الصلاة في كثير من الأحيان تكون في قلب الإنسان لأنه مكتوب يعطيك الرب حسب قلبك فإذا أردت أن تعلم هل استجيبت صلاتك أم لا – اسأل قلبك.

وهنا يقول الرب أنه يستر وجهه عن أيديهم المرفوعة نحوه وحينما يكثرون الصلاة لا يسمع لهم... والسبب يكشفه الرب أن هذه الأيدي المرفوعة مملوءة دمًا.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لأن من ملأ يديه زبلاً وطينًا وأراد أن يمسك بقدميك ليتوسل إليك فإنك تطرده طبعًا دون أن تسمع له فكيف تجرؤ وأنت بمثل هذه الحالة أن تقترب إلى الله" (حياة الصلاة).

فكم وكم وقد امتلأت أيديهم دمًا... كيف يقفون أمام الله وكيف يسمع لهم. امتلأت أيديهم بدماء الأبرياء، والأرامل "تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون الصلوات".

وافتكروا فكر الأمم أنه بكثرة صلواتهم يُستجاب لهم.

١٦. "اِغتسلوا. تنقَّوا. اعزلوا شر أفعَالِكُم من أمام عينيَّ. كُفُّوا عن فَعل الشر".

إن حياة الشعب وقد تلوثت بالشرور والشهوات وتلطَّخت قلوبهم وأيديهم بالدم وليس من سبيل للاقتراب إلى الله بعد أن تشوّهت العبادة بعمل الشيطان والشكليات الممقوتة... يأمر الرب هذا الشعب قائلاً:

١ـ اغتسلوا: الاغتسال هو شرط الوقوف في حضرة القدير ألم يأمر الرب الشعب في أيام موسى أن يغتسلوا ويتطهروا... "فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب، وقدّس الشعب وغسلوا ثيابهم" (خر ١٩: ١٤).

وعندما سقط داود في خطيئته صرخ قائلاً: اغسلني كثيرًا من إثمي. انضح عليَّ بزوفاك فأطهر .. فأبيض أكثر من الثلج.

فالاغتسال هو بداية العلاقة مع الله "حمَّمْتُك بالماء" (حز ١٦)... وهو بالاختصار كان إشارة ورمزًا للمعمودية التي فيها غسلنا الرب من خطايانا... لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح ... وإشارة أيضًا إلى ينبوع دم المسيح الذي غسل فيه الغالبون ثيابهم "غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف".

وأيضًا إشارة إلى عمل الروح القدس في اغتسال التوبة "وأرش عليكم ماءً طاهرًا فتطهّرون. من كل نجاسَاتكم ... وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم" (حز ٣٦: ٢٥-٢٦).

٢. **تنقوا:** قال الرب طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله فإن كان الاغتسال هو شرط الوقوف أمام الله... فنقاوة القلب هى شرط رؤية الله والعشرة مع أرواح القديسين والملائكة، ويقول القديسون: أن القلب يتنقى ويقترب إلى الله بأعمال المحبة وعدم دينونة الآخرين. ومداومة الطلبة إلى الله "قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله".

وفي عبارة مختصرة قال مار إسحق السرياني: ما هى نقاوة النفس؟... هى قلب مملوء رحمة نحو الخليقة كلها.

٣. **اعزلوا سر أفعالكم من أمام عيني:** وهذه عندما يغتسل الإنسان في الضمير وفي الخارج أيضًا ويتنقى قلبه ويستضيء بنور معرفة الله... حينئذ يستطيع أن يميز ويفرز أعمال الشر ويعتزلها... لأنه مادام الإنسان في حالته من عدم القداسة ونقاوة النفس يشتهي خرنوب الخنازير ويخلط بين أعمال القداسة وبين الأعمال الجسدية ويتخبّط بين عبادة الله وعبادة البعل... وهنا يبدو واضحًا إنذار إيليا للشعب قديمًا – إلى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاعبدوه وإن كان البعل فاعبدوه.

+ هكذا طالما كانت النفس تخلط في حياتها بين شكل العبادة وسوء التصرفات الأثيمة تظل مرفوضة إلى أن تغتسل وتتنقى وتعزل شر أفعالها.

+ لقد قيل عن مدينة نينوى التائبة أنه رجع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم.

٤. **كفوا عن الشر:** في عبارة مختصرة يشرح الرب طريق الحياة أمام الشعب فالاغتسال ثم النقاوة ثم عزل شر الأعمال من أمام عيني الرب ثم أخيرًا الكف عن عمل الشر.

ولو تأملنا هذه الوصايا لوجدناها لا تحتاج إلى جهاد بشري ولا تستند على إمكانيات الإنسان ولكن هذه دعوة للتمتع وليس على الإنسان إلا أن يقبلها.. فالنعمة هيأت ينبوعها وفاضت بمياهها بلا حدود وليس على الإنسان أكثر من الاغتسال.

وإمكانيات النقاوة ودم الذبيحة والزوفا المقدسة مستعدة للتطهير وليس على الإنسان إلا أن يحني رأسه... وهكذا أيضًا الكف عن الشر لا يتطلب من الإنسان إلا أن يهرب مثل يوسف، أو أن يرجع عن طريقه الردية وعن الشر الذي في يديه مثل

أهل نينوى، أو أن يرجع عن طريق الغضب والانتقام لنفسه وإتيان الدماء كما فعل داود النبي وأطاع نصيحة المرأة الحكيمة أبيجايل امرأة نابال.

وبعد أن تكلَّم الرب عن فيض النعمة وإيجابيات التحرك الإلهي نحو الإنسان يعود الرب فيُلزم الإنسان بوصايا يدخل فيها جهاد الإنسان وإرادته ويظهر الدور الذي يلعبه الجهاد الإنساني من أجل خلاص النفس.

١٧. "تعلَّموا فَعْل الخير. اطلبوا الحق. انصِفوا المَظلوم. اقضُوا لليتيم. حاموا عن الأرمَلَةِ".

وهنا يبدو واضحًا أن الحياة مع الله ليست امتناعًا عن الشر فحسب. ولكن أن يتعلَّم فعل الخير، وليس فقط أن يتقبل الإنسان عمل النعمة بل أن يجاهد لكي يثمر بالنعمة.

وفعل الخير يحتاج إلى صبر وجهاد وتعليم، وطلب الحق يحتاج إلى مُثابرة وسهر وأن يقف الإنسان ضد الباطل الذي في العالم وتيار الفساد – وإنصاف المظلوم، وقفة ضد الظلم وروح الظُّلمة أي إبليس، والقضاء لليتيم، وقفة بجانب الضعيف ضد قسوة العالم وجور الأحكام التعسفية ومحاباة الوجوه، والمحاماة عن الأرملة أي صوت صارخ للدفاع عن النفوس المحرومة من مدافع ومطالب وسند.

هذه كلها كم تُكلف النفس التي تشتهي أن تتمم وصايا إلهها، بالحق قال بولس الرسول إن جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون.

فإن كان طاعة هذه الوصايا جسديًا يحتاج إلى جهاد، ووقفة ضد العالم، فكم يكون طريق السالكين بالروح محفوف بالمخاطر والمجاهدة والصبر الكثير.

فالخير والحق وانصاف المظلوم والقضاء لليتيم والمحاماة عن الأرملة في المفهوم المسيحي وفي الوصايا المسيحية شيء يفوق العقل، فالخير والحق المسيحي لا نهائي والإنسان المسيحي مُجاهد سمائي يسعى نحو اللانهائيات.

١٨. "هلُمَّ نتحاجج، يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقِرمز تَبيَضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدُّوديِّ تَصِير كالصُّوف".

إن دعوة ربنا للخطاة والمستهينين الذين صاروا جرحًا بلا شفاء وضربة بلا غاصب... دعوة ربنا لهؤلاء معناها أن الرب أبدل كلمات الحُكم والدينونة إلى كلمات دعوة للتوبة وأبدل كلمات الغضب بكلمة مصالحة إلهية... فهم وإن أخذوا من ربنا مكان المُعاند والمُقاوم وإن استحقوا الغضب واللعنة ولكن سخاء إلهنا وغنى نعمته تحول العقوبة خلاصًا وتفتح باب للرجاء أمام أشر الأشرار وأخطى الخطاة.

وقول الرب هلم نتحاجج. هو ذات الدعوة التي سمعناها من الرب يسوع للخطاة "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال"... والرب في دعوته: يدعو الخطاة للتفاهم وليقدم كل واحد حجته وكأن الرب صار في مستوانا أو أنه اقترب منا قريبًا يمكننا من الأخذ والعطاء، ولكن ما عسانا نستطيع أن نُقدم للرب وماذا يريد هو في محبته أن يُقدم لنا في هذه الدعوة للتفاهم؟

إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف.

يا لهذه المبادلة العجيبة والمحاجاة الإلهية التي تذهل العقل هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له.

يُريد أن يحمل عنا خطايانا ويعطينا من بره وقداسته.

يريد أن يغسل عنا دم الخطية (الحمراء كالقرمز والدودي) لنصير كالثلج بياضًا وكالصوف نقاوة.

وهذا ما فعله الرب الإله بصليب ابنه عندما حمل خطايانا على الخشبة وكسانا ببره وقداسته.

١٩. "إن شئتُم وسَمِعتُم تأكلون خير الأرض.

٢٠. وإن أبيتُم وتمرَّدتُم تؤكَلُون بالسيف. لأن فم الرب تكلَّم".

قال الرب قديمًا: ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختر الحياة فتحيا أو اختر الموت فتموت... وعندما أرسل الرب حزقيال أيضًا ليكلِّم الشعب بكلمة الرب قال له: "هم إن سمعوا وإن امتنعوا".

وهذه إحدى خصائص النعمة وطبيعتها... فالروح القدس وإن بَكَتَ على خطية وإن نخس القلب بشدة إلا أنه لا يضغط على إرادة ولا يُجبر نفسًا على تغيير

الطريق... هو ينبه بشدة ولكن يترك الحرية كل الحرية لإرادة الإنسان.

هكذا يبدو واضحًا أن أمر خلاص هذا الشعب صار مُعلقًا بإرادتهم وخضوعهم لروح الرب ولكلمة نعمته أو رفضهم وتمردهم فإمكانيات النعمة وغناها بلا حدود وتدابير الخلاص قد أكملها الرب بالصليب والقيامة – وباب الرجاء مفتوح أمام كل نفس ولكن ماذا تريد النفس؟ وماذا تختار؟

وهنا يكون مكافأة خضوع الإنسان للكلمة وقبوله دعوة المصالحة مع الله في المسيح يسوع – هى أن يأكل خير الأرض ويتمتع بالميراث وإن كان هذا الوعد يُفهم لدى الشعب بالتمتع الزمني إلا أنه يشير إلى الوجود مع الله في ميراث القديسين والتمتع بخيرات الروح التي لا تزول.

ويكون أيضًا عقاب النفوس المتمردة وغير الطائعة عدم التمتع بالميراث وسقوط بسيف العدو وهو ما يشير لسقوط النفس قتلى بالخطية وحرمانها من الوجود مع الله في ميراث القديسين.

٢١. "كيف صارت القريَة الأمينة زانيةً! ملآنةً حقًا. كان العدل يَبيتُ فيها، وأمَّا الآن فالقاتلون".

هنا الوحي الإلهي يسمي أورشليم "القرية الأمينة"... ومرة أخرى يدعوها "العذراء" ابنة صهيون (إش ٣٧) مشيرًا إلى إرتباطها بالرب وأمانتها له وطاعتها لكلمته والتصاقها به بالحب... وهنا تكمل الكلمة المكتوبة إن من التصق بالرب صار روحًا واحدًا.

ولكن ما بالها ذاهبة وراء آخر مستهينة بعريسها وقلبها مبتعد عنه بعيدًا... لقد نقضت العهد ودنَّست المحبة ـــ لقد صارت ابنة صهيون المحبوبة زانية... يا للخزي – لأنه إن كان الزنى الجسدي هكذا قبيحًا فكم يكون زنى الروح؟

وهنا محبة إلهنا العجيبة تستكثر الخيانة وتستصعب الانحراف فتقول في عجب - كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ كيف صارت هكذا رغم حبي ووصاياي وأنبيائي وعمل نعمتي... ماذا وجدت فيَّ من جور حتى تركتني... لماذا احتقرت محبتي.

+ إن القرية الأمينة التي ائتمنها الرب على نفسه وعلى جسده ودمه هى نفسي –

ومازال صوت الرب يخاطبها في كل مرة تنحرف آرائها تجاه العالم بنية الخيانة.

+ **ملآنـة حقًا**، كان العدل يبيت فيها... كانت مكانًا يرتاح فيه الله مثل قلب مستعد ومكان مهيأ لسكنى القدير وأما الآن فالقاتلون يجدون فيها مكانًا – لقد زينت ابنة صهيون نفسها للروح النجس فوجدها مكنوسة مزينة فأخذ سبعة أرواح أُخر أشر منه وأتى وسكن فيها.

ما هذا التحول العجيب في قلب أورشليم. بالحق قيل عنها ما أمرض قلبك.

٢٢. "صارت فِضّتُكِ زغلاً وخمْرُكِ مغشوشَةً بماءٍ".

الفضة تشير إلى الكنوز التي أودعها الرب في نفس الإنسان وإلى الوزنات التي أُئتمن عليها.

والخمر يشير إلى الحب والعاطفة ومعنويات الإنسان والواقع أن انحراف أورشليم لم يكن بصورة مكشوفة علنية ولكن كان ضربة داخلية غلفتها أغلفة رياء وزيف عبادة باطلة فصار لها مظهر التقوى وشكل العبادة دون قوتها أو فاعليتها وهنا يكمن الخطر كل الخطر، وصميم عمل الكلمة الإلهية أن تفضح رياء الإنسان وتكشف غشه لكي يستفيق من غفلته.

انتبهي يا ابنة صهيون فإن كنوز غناكِ مغشوشة، كنز الكلمة والتعليم وكنز الحكمة والتدبير دخل إليهما زغل العالم والحكمة البشرية.

أما خمر حبك وعبادتك وحرارة صلواتك وذبائحك فصارت كلها مغشوشة بماء... لها شكل الخمر ولكن بلا حرارة وبلا أثر كل من يذوقها يلفظها.

٢٣. "رؤساؤكِ متمرِّدون ولُغفاء اللصوص. كل واحدٍ منهم يُحبُّ الرَّشوَة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصِلُ إليهم".

وهنا بأكثر توضيح يشير الرب إلى زغل الفضة وغش الخمر في وسط أورشليم إلى رياء رؤسائها وتمردهم وكطبيعة الكلمة الإلهية لابد أن تكشف رياء الإنسان وتفضح جراحاته لكي تشفيها.

فالرؤساء – لهم منظر الرئاسة والسلطان وصورة التقوى والدفاع عن الضعفاء وكراسي القضاء مع لطف ظاهري وكلمات شبه الحق، ولكن الرب يكشف رياءهم. فهم متمردون وإن التحفوا بثياب الطاعة وشكل الخضوع للوصايا الإلهية... وهم أصدقاء للصوص يتسترون على الخطية ويشجعون أصحابها رغم تظاهرهم بالبراءة والوقوف ضد الشر، وهم بالرشوة والعطايا يحكمون على الأبرياء ويظلمون البسطاء ولا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.

بالحق قال الرب إنه ليس خفيًا إلا ويظهر... وليس شيء غير ظاهر أمام سلطان الكلمة بل كل شيء مكشوف وعريان.

٢٤. "لذلك يقول السيد ربُّ الجنود عزيز إسرائيل: آه! إني أستريحُ من خُصَمائي وأنتَقِم من أعدائي".

في كل المرات التي يتكلَّم فيها الرب الإله عن خطة الخلاص وتدبيرها الإلهي العجيب وعن عمل شدة قوته وتخليص الإنسان من ورطة الخطية والهلاك، يكون اسم الرب إلهنا مقترنًا بالقوة معتزًا بالمجد... فهو عندما يرسل موسى ليتكلم أمام فرعون عن اللَّه المُخَلِّص والمنقذ والقوي يقول الرب إله العبرانيين... وترنيمة الخلاص تشير إلى تكريم اسم الرب العزيز وتمجيد عزته "الرب اسمه مُكرم... عينيك يا رب معتزة بالقدرة. يمينك يارب تحطّم العدو... من مثلك بين الآلهة يارب (خر ١٥).

على هذا المثال جاء اسم ربنا المتكلم بزفرات خلاص واقتدار فهو السيد رب الجنود عزيز إسرائيل... وهذا الاسم المبارك يُظهر غيرة الرب الشديدة للخلاص وعزة قوته نحو خلاص أولاده.

آه إني أستريح من خُصمائي وأنتقم من أعدائي:

من هو إلهنا — من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية... فمن المستحيل أن يرى الرب أولاده مُذلين بذل الخطية ومنحنين تحت نير السخرة ويقف موقف المتفرج — حاشا ولكن يقول رأيت عيانًا مذلة شعبي سمعت أنينهم — نزلت لأُخلصهم — وليس من

المعقـول أن يـرى الـرب أولاده فـي ضـيق أو شـدة إلا وتتحـرك أحشـاء المـراحم الإلهية نحونا.

وهنا يبدو واضحًا جدًا العداوة الكائنة بين روح الظلمة والنجاسة التي في العالم وبين روح إلهنا القدوس ونور الحق.

أيضًا كم يستريح إلهنا عندما يُخلِّصنا، وعندما ينتقم لنا من قوات الشر وسلطان الموت الذي هو العدو الأخير.

٢٥. "وأرُدُّ يدي عليكِ، وأُنقِّي زغَلَكِ كأنه بالبورق، وأنزع كل قصديرك.
٢٦. وأُعِيد قُضاتكِ كما في الأول، ومُشيريك كما في البداءة. بعد ذلك تُدعين مدينة العدل، القرية الأمينة".

أما كيف يُخلص الرب أورشليم وينقيها حسب التدبير الإلهي فهذا يتم.

أولاً: يرد يده عليها – يد الخلقة – فهو مُزمع أن يخلق أورشليم جديدة – سماء جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر... "يداك صنعتاني وجبلتاني"... أنت الذي جبلتني ووضعت يدك عليَّ، ويد الرب – أي كلمته – الذي به خلق كل شيء... وبه صنع العالمين... وقد استُعلنت ذراع الرب بالتجسد من العذراء القديسة... وقد قال إشعياء النبي في موضوع آخر: "يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب".

ثانيًا: بالنار (كأنه بالبورق)... فالخليقة الجديدة بالروح القدس الروح الناري الذي حرق أشواك الطبيعة البشرية ونقى زغلها ونزع قصديرها.

وأُعِيد قُضاتكِ كما في الأول، ومُشيريك كما في البداءة.

+ والواقع أن الرب كان مزمعًا أن يُعيد الإنسان إلى رتبته الأولى كذلك يقول "كما في الأول"، "كما في البداءة" عندما جبل الرب الإنسان على صورته في القداسة وبغير فساد.

+ إن قُضاة أورشليم الجديدة ومُشيريها هم الرسل الأطهار الذين امتلأوا من روح الحكمة والمشورة وصاروا قُضاة المسكونة.

+ أما الاسم الجديد فهو مدينة العدل - مدينة الله - عمود الحق وقاعدته الكنيسة

المقدسة.

٢٧. "صهيون تُفدى بالحق، وتائبوها بالبرِّ.
٢٨. وهلاك المُذنبين والخُطاة يكون سواءً، وتاركو الرب يفنون.
٢٩. لأنهم يخجَلون من أشجار البُطْم التي اشتهيتُموها، وتُخزَون من الجنات التي اخترتُموها".

يعود الرب فيتكلم عن الجماعة التي تقبل عمل نعمته وفداءه وخلاص أورشليم ونقاوتها ويدعوها الرب بالتائبين "تائبوها" وعن الذين لا يقبلون عمله ويرفضون خلاصه ويسميهم "تاركوا الرب".

+ وأما تائبوا أورشليم فميراثهم:

١. بركات الفداء... "صهيون تُفدى بالحق" تغمرهم ونور الحق الإلهي يشمل حياتهم ويقودهم إلى ينابيع الحياة.

٢. وبِرِّ المسيح... "تائبوها بالبرِّ" يغطي حياتهم فلا تظهر عيوبهم ولا تحسب خطاياهم بل "أنتم الذين اعتمدتُم بالمسيح قد لبستم المسيح... متبررين مجانًا بنعمته.

+ وأما تاركوا الرب فنصيبهم المؤسف:

١. هلاك لأنهم تركوا الرب واستهانوا به ورفضوا خلاصه.

٢. الفناء... بسبب تخلي الله عنهم.

وهذا يشير إلى أن الكنيسة المقدسة هى جماعة مقدسين وتائبين، أما تاركوا الرب والمذنبين والخطاة فليس لهم نصيب ولا شركة.

٣. الخجل... من أشجار البطم والعبادة الغريبة ومن الشهوات الغبية التي اشتهوها.

٤. الخزي... من الجنات التي أخذوها والنعيم الأرضي الذي وثقوا فيه وطلبوه بكل قلوبهم.

٣٠. "لأنكم تصيرُون كبُطمَةٍ قد ذَبُل ورقها، وكجنَّةٍ ليس لها ماءٌ.

٣١. ويصيرُ القوي مَشاقةً وعمله شرارًا، فيحتَرقان كلاهما معًا وليس من يُطفئ".

قال داود النبي في تطويب الإنسان السالك في وصايا الرب: "أنه يكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه... وورقها لا ينتثر وكل ما يصنع ينجح فيه". أما عن المنافقين فقال أنه ليس كذلك ولكنهم كالهباء الذي تذريه الرياح".

الذبول والجفاف... هما دليل الحياة الجسدية وعدم قبول عمل نعمة الروح القدس الذي هو الماء الحي الذي قال عنه ربنا يسوع "من آمن بي كما قال الكتاب: تجري من بطنه أنهار ماء حي... قال هذا عن الروح القدس.

الأصحاح الثاني

١. "الأمور التي رآها إشعياء بن آموص من جِهة يهوذا وأورشَليم".

+ إشعياء مشغول من جهة يهوذا وأورشليم.

+ الرب يعزي إشعياء بالرؤيا.

لابد أن قلب إشعياء كان مشغولاً من جهة يهوذا (شعب الله) ومن جهة أورشليم "مدينة الملك العظيم"، فالحالة التي وصل إليها الشعب إذ قد تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل – والخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء... ومذبح الرب المتهدم في كل قلب والهيكل الإلهي المهجور من كل عابد...

كانت هذه كلها حزنًا عظيمًا ووجعًا في قلب إشعياء لا ينقطع، وبينما هو ناظر إلى يهوذا منطرحة مثل غنم لا راعي لها – وبينما هو باكٍ على أورشليم بدموع حزينة... ومنتظر خلاصًا... وبينما هو متفكر بهذه الأمور كلها... إذ بروح الرب يرف فوق هذا القلب المجروح بالحب، والمتوجع بالغيرة الإلهية وإذ بالنعمة تعزي وتطيب قلبه بالرؤيا من جهة يهوذا وأورشليم.

فما من قلب يتحرك حركات الغيرة من جهة شعب الله وهيكله المقدس... وما من إنسان يحزن ويكتئب من جهة مدينة الله وخلاص الناس إلا وينسكب عليه عمل النعمة في سخائها وفي عزائها إما برؤيا أو بحلم أو بكلام عزاء.

هكذا عمل الرب، ويعمل مع المشغولين من جهة كنيسته وشعبه في كل زمان ومكان... وهكذا عزى الرب نحميا وإرميا وإيليا ودانيال وحزقيال وداود... بل وجميع المنتظرين فداء الرب ومتوقعين خلاصه.

٢. "ويكون في آخر الأيام أن جَبَل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التِّلال، وتجري إليه كل الأمم".

الكنيسة هى سر الفرح في حياة أولاد الله... متى رأوها في بهاء مجدها وكمال زينتها وعمانوئيل في وسطها سر قوتها... هذا ما قصدت النعمة أن تطيب قلب إشعياء برؤياه التي تفاضلت بها نعمة ربنا.

يكون في آخر الأيام:

إن ما يعزي أولاد الله وخدامه فعلاً نهاية سلطان الشر وزوال أيام الخطية والعصيان... هذا ما كشفه الرب لعبده إشعياء في هذا التعبير البسيط ... "يكون في آخر الأيام" أي أن الأيام التي أحزنت قلبك وأثقلت عليك بمناظر الخطية ونجاستها... سوف تأتي إلى نهاية.

ويأتي وقت يُقال فيه قد كمل الزمان... وتناهى الليل...

إن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبل:

هنا أعلن الرب لإشعياء سر الكنيسة... أورشليم الحقيقية... جبل الله المرتفع، لقد عاش إشعياء في حزن عندما رأى بيت الرب مهملاً ومنسيًا ومذبح الرب مهدمًا في كل قلب، والشعب ذاهب وراء آلهة غريبة وغارقًا في نجاسات، ولكن الرب في الرؤيا أعلن أمام البصيرة النبوية التي لإشعياء أن يأتي وقت في آخر أيام الخطية وسلطان الشيطان ويكون جبل بيت الرب ثابتًا في رأس الجبال ومرتفعًا فوق التلال وكأن الرب يقول لإشعياء: سأبني كنيستي على صخر الدهور وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

جبل بيت الرب:

لقد صعد الرب يسوع على الجبل مرات كثيرة وهناك أسس كنيسته. عمود الحق وقاعدته. أساستها في الجبال المقدسة كما يقول المزمور.

ولو تأملنا لوجدنا كيف ارتفع جبل بيت الرب عاليًا أعلى من علو الإنسان.

أساسات جبل بيت الرب:

١. جبل التجربة:

بعد العماد سيدنا صام... وهناك على جبال الصوم الأربعيني اقتاده الروح ليُجرَّب من إبليس... وهناك حمل الرب عنا كل تجربة وأسس كنيسته التي هى جسده بعيدة عن الظلم فلا يدنو منها، وعن الارتعاب فلا يقترب إليها... مرتفعة فوق التجارب وفوق كل حيل إبليس وفوق كل علو يرتفع ضد الله.

لقد استعلنت الكنيسة على جبل التجربة كجسد المسيح المنتصرة على التجارب الغالبة الشيطان المرهبة كجيش بألوية.

ومن يومها والكنيسة بالصوم والصلاة تهدم حصون العدو وترتفع فوق كل تجارب وإضطهادات هذا الدهر ورئيس هذا العالم.

٢. جبل التعليم:

صعد الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً: طوباكم أيها المساكين بالروح لأن لكم ملكوت السموات... الخ.

وبنى الرب كنيسته على جبل الكلمة الإلهية والتعليم المرتفع فوق كل حكمة بشرية وفلسفات الناس وفوق رؤوس الجبال السابقة سمعتم أنه قيل للقدماء... أما أنا فأقول لكم.

وليس غريبًا أن يُقال أن التعاليم المسيحية أعلى من أي تعليم آخر تحت السماء لأن جبل بيت الرب ثابتًا دائمًا في رأس الجبال ومرتفع فوق التلال وستظل كل تعاليم الناس مثل تلال منخفضة منطرحة أمام شموخ جبل بيت الرب العالي.

٣. جبل التجلي:

جبل استعلان الكنيسة في مجدها الإلهي حينما يتجلى إله الآلهة وسطها وحينما يسمع فيها حديثًا سريًا عن خروج المسيح إلى الصليب الذي لا يمكن أن يدركه إلا الذين أعطى لهم... أن الرب بنى كنيسته على جبل أسرار مرتفع بما لا يقاس عن المجد البشري والفكر الدنيوي.

٤. جبل الجلجثة:

حيث ارتفع الرب أيضًا بالصليب وحيث جذب إليه كل واحد، ترى من يستطيع أن يصعد إلى ارتفاع الصليب إن لم يجتذبه الآب أو من يصعد إلى جبل الرب إلا التقي الطاهر اليدين.

رأى إشعياء بالرؤيا... ارتفاع الكنيسة وشموخها وعلوها فوق رؤوس التلال والجبال... تُرى ماذا يُفرّح القلب أكثر من سلام كنيسة الله وبنيانها.

وتجري إليه كل الأمم:

هكذا أعلن الرب لإشعياء في رؤيا أمرًا آخر يزيد الفرح ويصير سببًا للبركة والتسبيح وهو دخول الأمم إلى الإيمان وتمتعهم بصليب المسيح واتحادهم بجسده أي بالكنيسة.

والمدهش أن إشعياء رأى الأمم تجري إلى جبل بيت الرب دليل على أن دخولهم سيكون بقوة وبسرعة وبعمل إلهي مدهش... تأمل كيف لم ينقضي القرن الأول المسيحي والكلمة الإلهية قد طرقت أبواب العالم كله ... وكمل المكتوب "الذين لم تسمع أصواتهم خرج منطقهم إلى أقصاء المسكونة".

وانظر كيف كان الفرح في الكنيسة الأولى عند باكورة الأمم... كرنيليوس "كانوا يمجدون الله قائلين... إذا أعطى الله التوبة للأمم أيضًا".

٣. "وتسير شعوبٌ كثيرةٌ، ويقولون: هَلُمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طُرقِهِ ونسلك في سُبُلِهِ. لأنه من صهيون تَخرُج الشريعة، ومن أورشليم كلمةُ الربِّ".

لقد بدأت حركة الروح باندفاع ناري في حركة ركض نحو جبل بيت الرب ثم يقول تسير شعوب كثيرة ويشجعون بعضهم بعضًا في مسيرتهم الروحية وفي صعودهم وجهادهم إلى جبل الرب وارتفاعهم عن الأمور الأرضية وترك أباطيل العالم.

إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طُرقِهِ ونسلك في سُبُلِهِ. لأنه من صهيون تَخرُج الشريعة، ومن أورشليم كلمةُ الربِّ.

الكنيسة هى جسد المسيح – مصدر كل نعمة – مسكن مجد الله هناك ذبيحة المسيح بكل كمالاتها الإلهية واستحقاقات جسده المكسور ودمه المسفوك على المذبح كل يوم... وهناك نعمة الروح القدس – روح يوم الخمسين الذي يعمل في أسرارها وهناك الكلمة الإلهية الثابتة فيها لأن الكنيسة مبنية على أسس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية - خارج الكنيسة لا يوجد شيء ولا يوجد خلاص.

وقد رأى إشعياء الأمم تجري إليها، الشعوب تسير نحوها يطلبون أن يتعلموا

الطريق (المسيح) ويسلكوا في سبيل الرب لأن من الكنيسة تخرج الشريعة وكلمة الرب.

٤. "فيقضي بين الأمم ويُنصِف لشعوبٍ كثيرين، فيَطبعون سيوفَهم سككًا ورماحهم مناجِلَ. لا ترفَع أُمَّةٌ على أُمَّةٍ سَيفًا، ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد".

هنا أعلن الرب كيف يكون حال الأمم بعد أن قبلوا الإيمان بالمسيح وصاروا له. يقضي الرب بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين... لقد ارتضى الروح القدس أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم وقد نطق الروح على فم معلمنا بولس الرسول قائلاً: أن ليس عند الله محاباة. لذلك فبر الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.

وهكذا إذ قد طهر بالإيمان قلوبهم وأعطى الأمم موهبة الروح القدس بالسوية. وتغيروا عن شكلهم إذ رجعوا من الأصنام إلى الإله الحي، وقد أعلن الرب مظاهر هذا التغير الإيماني الذي يحدث للأمم.

١. يطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل:

فيتحولون من مضطهدين إلى مبشرين مثل شاول، وكثيرين من المضطهدين كانوا يطيعون الكلمة بل أن تاريخ الكنيسة مليء بقصص الشهداء ونساك كانوا قبلاً مُضطهدين ومُعذبين.

والسكك والمناجل أدوات زرع وحصاد في حقل الكنيسة في زرع الكلمة وفي الحصاد الكثير الذي ذكره الرب يسوع قائلاً: "اطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده".

٢. لا ترفَع أُمَّةٌ على أُمَّةٍ سَيفًا، ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد:

السلام هى علامة مميزة من علامات الكنيسة – ليس كما يعطي العالم... فالسلام هو علامة الكنيسة - سلام روحي ليس سلام السيف والحرب... والمسيح هو الذي يملك ويقضي لشعوب كثيرين ويخضع نفوس أولاده لناموس الحرية والحياة

الأبدية.

وهذا السلام الذي رآه إشعياء "بين الأمم لا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" هو سلام روحاني بين النفوس التي صارت للرب... لأن الرب قد جاء لكي يقتل العداوة ويصنع سلامًا ويبني كنيسته. لا ترفع سيفًا ولا تشهر رُمحًا.

على أن النبوة تشير إلى سلام كامل يخيم على المجتمع الإنساني كله، تصير أممًا وهذا لا يتحقق إلا إذا صارت الكلمة المكتوبة تكون الأرض كلها للرب ولمسيحه.

٥. "يا بيت يعقوب، هَلُمَّ فنسْلُك في نور الرب".

بعد ما أعلن الرب أمام أعين إشعياء دخول الأمم والشعوب الكثيرة "ملئ الأمم" إلى بيت الرب وقبولهم في بيت العرس الأبدي وتمتعهم بالأحضان الأبوية ونور القيامة من بين الأموات.

بعد هذه الأمور سمع إشعياء في الرؤيا من ينادي قائلاً: يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب - يا بيت يعقوب لماذا تتوانوا... قد بلغ إلى جبل بيت الرب ملء الأمم... هلم نسلك في نور الرب، ونور الرب هو المسيح بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، وهو نور العالم وشمس البر، والساكن في النور الذي لا يدنى منه... إذًا يا بيت يعقوب لماذا السلوك في الظُّلمة... ولماذا الابتعاد عن النور الحقيقي... هلم نسلك في نور الرب.

ومن عجب أن الدعوة للحياة مع المسيح والسلوك في نور الرب لا تأتي إلى بيت يعقوب كمن يناديهم من خارج قائلاً: يا بيت يعقوب اسلكوا في نور الرب بل تأتي من داخل لأنهم استؤمنوا على أقوال الله. وهم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاِشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح الكائن على الكل إلهًا مباركًا.

الدعوة إذًا هى بمثابة نزع الغشاوة... ورفض القساوة... ورفع البرقع لأنه إلى الآن حينما يقرأون الناموس البرقع موضوع.

وعندما تنكشف هذه جميعًا وتستنير البصيرة بنور الإنجيل سيكتشف بيت يعقوب تيار الروح القدس تحت ستار الناموس والكنز المُخبأ في الرموز والظلال وشبه

السماويات.

٦. "فإنك رفَضْت شعبَك بيتَ يعقوب لأنهم امتلأوا من المَشرق، وهُم عائفون كالفلسطينيين، ويصافحُون أولاد الأجانب".

عاد إشعياء النبي ينظر إلى بيت يعقوب في رفضهم للمسيح المبارك وهم كأغصان منزوعة وشعب مرفوض من الله.

فقال معاتبًا ومحاجًا الله... فإنك رفضت شعبك – وهنا نجد إجابة الروح القدس وطلب الكنيسة من أجل العالم كله ومن أجل إسرائيل هى للخلاص. وهنا يتحدث الروح القدس بفم الرسول بولس: "الله رفَض شعبه؟ حاشا!... لم يرفُض الله شعبه الذي سبق فَعَرَفَهُ" (رو١١: ١ – ٢) ألعلهم عثروا لكي يسقطوا حاشا بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لاغارتهم. فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصاتهم غنى للأمم فكم بالحري ملؤهم. لأنه إن كان رفضهم مصالحة للعالم فماذا يكون اقتبالهم إلا قيامة من الأموات.

فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن العداوة حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم وهكذا ستخلص جميع إسرائيل.

هذا بخصوص رفض الله... وهو غاية في الوضوح أن الله لا يُسر بموت الخاطئ ولا يشاء أن يهلك أحدًا أو أن يرفض راجعًا.

أما حالة بيت يعقوب وهم في حالة رفض الله أو حالة الرفض من الله فرآهم إشعياء في رؤياه وقد صاروا شبه الأمم شكل العالم.

١. امتلأوا من المشرق:

عوض أن يمتلأوا من معرفة الله – ويمتلأوا من روح الله – ويمتلأوا من وصاياه وطرقه، امتلأوا من المشرق... شابهوا المجوس في أسحارهم وعباداتهم ورجاستهم.

٢. عائفون كالفلسطينيين:

وعوض أن يسألوا إلههم ويطلبوا وصاياه.. ويسمعوا لصوت الرب صاروا يعتمدون على القوى البشرية في التخمين والعرافة وعمل الشيطان كما سأل

آخاب بعل زبوب إله عقرون... وكما كانوا يسألون الموتى... وما إلى ذلك من طرق الفلسيطنيين ونجاساتهم.

٣. يصافحون أولاد الأجانب:

يسالمون العالم... وهذا أسوأ ما يمكن أن تصل إليه النفس البشرية... أن تمتد يد المصافحة للعالم... لأن العالم وضع في الشرير... وقد قال الرب عن الشيطان أنه رئيس هذا العالم.

٧. "وامتلأت أرضُهم فِضةً وذهبًا ولا نهاية لكنوزهم، وامتلأت أرضُهُم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم".

انشغلوا بالماديات إلى درجات رهيبة وتفننوا في عبادة المال ومحبة العالم التي هى عداوة لله. أليس هذا ما نراه الآن من سيطرتهم على اقتصاد العالم كله؟!

وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم.

من جهة القوة البشرية والاتكال على الذراع البشرية والإمكانيات "لا يؤثر قوة الفرس ولا يسر بساقي الرجل يُسر الرب بخائفيه وبالراجين رحمته".

إن الاتكال على القوة المادية يحجب من القلب مخافة الله ويطرح الإنسان بعيدًا عن الخلاص.

٨. "وامتلأت أرضهم أوثانًا. يسجدون لعمل أيديهم لِما صنعَتْهُ أصابعُهُم".

ليس معنى هذا عبادة الأصنام كما في القديم ولكنه قد يكون بشمول أكثر اتساعًا في الإدراك الروحي... ابتعاد القلب عن الله وانصرافه عن مشغولية العبادة والسجود والخضوع لإرادته وتحول القلب إلى عمل اليدين وصنعة الأصابع والثقة في الآلات البشرية.

أليس هذا ما نراه اليوم في انحصار قلب الإنسان في عمل يديه وهو يتعبد للمصنوعات أكثر من الوثن القديم.

٩. "وينخَفِضُ الإنسان، وينطَرح الرَّجُل، فلا تَغْفِر لهم".

هنا رأى إشعياء انحدار الإنسان وإنخفاضه إلى أسفل إلى تراب الأرض بسبب كل الأمور السابقة من امتلائهم من المشرق ومشاكلتهم الفلسطينيين ومصافحة أولاد الأجانب.

ماذا ننتظر من إنسان صارت فيه هذه الأمور وطرح نفسه فريسة للعالم... حقًا ينخفض الإنسان وينطرح... ولكن هذا غير الاتضاع.... عندما ينطرح الإنسان أمام الله يرفعه الله، لأن كل من يضع نفسه يرتفع... ولكن عندما يريد الإنسان أن يتعالى بذاته ومقتنياته وقدراته ينخفض وينطرح... ولا يغفر له الرب خطيته.

١٠. "اُدخُل إلى الصَّخرة واختبئ في التراب من أمام هيبَةِ الرب ومن بهاء عَظَمَتُهُ.

١١. تُوضَعُ عينا تشامخ الإنسان، وتُخفَضُ رِفْعَةُ الناس، ويَسْمُو الرب وحدَهُ في ذلك اليوم".

وهنا يكشف الرب أمام إشعياء خطة الخلاص الإلهي والتدبير الذي في قصد الله من نحو بيت يعقوب ومن نحو رجال يهوذا الذين وصلوا إلى الرفض والهوان.

عظمة الرب وبهاؤه وسمو مجده وارتفاعه:

عندما تبتعد النفس البشرية عن نور الحق الإلهي وتنغلق في إطار الجسد الترابي... تتعظم الذات البشرية وتتضخم وتزيد ثقة الإنسان في ذاته وفي قدراته. ويكفي أن نتأمل الذات البشرية في أيام برج بابل وفي أيام نوح وفي نبوخذ نصر والغني الغبي... الخ.

وليس من طريق لاكتشاف خطر تضخم الذات وتعظمها إلا أن يعلن الرب مجده وبهاؤه أمام النفس البشرية... حينئذ يكتشف الإنسان حقارته وضعفه.

فإبراهيم وهو أب الآباء عندما وقف أمام الرب الإله شعر أنه تراب ورماد...

وموسى عندما رأى مجد الرب قال: إني مرتعب ومرتعد... والشعب العنيد قاسي القلب وصلب الرقبة عندما رأى مجد الرب والجبل يدخّن اعتفوا أن يكلمهم الرب وخضعوا قائلين: كل ما يقوله لك الرب نفعله، وهكذا حدث مع حزقيال ودانيال وإشعياء نفسه وجميع الذين رأوا مجد ربنا، انهارت بشريتهم وما استطاعوا أن يضبطوا قوة للوقوف أمام الرب ولا للكلام.

وهذا ما أعلنه الرب لإشعياء بالنسبة لهذا الشعب المرفوض من الله أو بالحري الرافض الله... وقد أوضح الروح القدس عن التدبير الإلهي في خلاص رجال يهوذا والذين انطرحوا في بعدهم عن الرب يسوع.

أُدخُل إلى الصَّخرة واختبئ في التراب من أمام هيبَة الرب ومن بهاء عَظَمَتُهُ.

إن الرب مزمع أن يظهر بهيبته الإلهية وبهائه وعظمته... بطريقة ما... في يوم استعلان إلهي ويوم رجوع وتوبة ووصول الإنسان إلى منتهى الاتضاع.

وعندما يُستعلن مجد الله... من يستطيع أن يقف أو أن يحتج... لقد قيل عن مجيء الرب الثاني في مجده وجميع الملائكة القديسين معه يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا... لأنه مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي.

وهنا أمام المجد الإلهي وأمام هيبة الرب وأمام بهاء عظمته أين يكون مركز الإنسان؟ وأين مجده ومتكله؟ وأين عينا الإنسان التي ارتفعت في عظمة كاذبة؟ وأين رفعة الإنسان التي ظن أنه ارتفع بها؟

إن الإجابة الوحيدة لكل هذه الأسئلة هي... في التراب. أليس هذا هو ما رآه القديسون عندما تواجهوا مع الله؟

إن ذات الإنسان المتعظمة هى الحجر الوحيد في طريق خلاصه. لأن الكبرياء هى علة سقوط الإنسان الأولى والخطيرة، لذلك فظهور مجد الله أمام عيني الإنسان يقوده إلى اتضاع وشعور حقيقي بواقع نفسه ومسكنته.

١٢. "فإن لرب الجنود يومًا على كل مُتَعَظِّم وعال، وعلى كل مُرتَفع فيوضع.

١٣. وعلى كل أرز لبنان العالي المُرتفع، وعلى كل بَلُّوط باشان.

١٤. وعلى كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المُرتفعة.
١٥. وعلى كل برج عال، وعلى كل سُور مَنيع.
١٦. وعلى كل سُفُن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة".

وهنا يورد الروح القدس نواحي كبرياء الإنسان بالتفصيل وبالذات بيت يعقوب ويهوذا بالتفصيل الدقيق – وما لابد أن يصير من جهة رجوعهم إلى الرب بعد أن يكسر كبريائهم ويطرحهم إلى التراب فيرجعون إلى الرب.

والذي يتأمل الأسفار الإلهية نجد أن علة الكبرياء هى التي جعلت شعب إسرائيل يعثرون في الرب يسوع وفي صليبه المحي وخلاصه.

ألم يقل بولس الرسول أننا نكرز بالمسيح مصلوبًا لليهود عثرة لم يقبل كبرياؤهم أن يأتي الرب وديعًا متواضعًا، ليس له أين يسند رأسه... ولم يرض كبرياؤهم أن يكون مشاركًا لنا في أحزاننا وأوجاعنا حاملاً عارنا.

لذلك صار طريق رجوعهم الوحيد هو طريق الاتضاع وقد شبه الرب هذه النفوس بأشياء مادية افتخر بها الإنسان واعتز باقتنائها وصارت سبب تعظمه وافتخاره.

١. أرز لبنان العالي وبلوط باشان.
٢. الجبال والتلال العالية.
٣. الأبراج والأسوار المنيعة.
٤. سفن ترشيش العابرة البحار.
٥. الزينات والأعلام البهجة.

وعن كل هذه النفوس قال الروح القدس أن لرب الجنود يومًا على كل مُتعظم وعلى كل مُرتفع فيوضع.

١٧. "فـيُخفَضُ تشامخ الإنسان، وتوضع رفعَة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم.
١٨. وتزول الأوثان بتمَامِها.

١٩. ويدخُلون في مغاير الصُّخور، وفي حفائر التُّراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمَته، عند قيامه ليرْعَب الأرض.

٢٠. في ذلك اليوم يطرَحُ الإنسان أوثانهُ الفضّية وأوثانه الذهبيّة، التي عَملوها له للسجُود، للجرذان والخفافيش.

٢١. ليدخل في نُقَر الصخور وفي شقوق المَعَاقِل، من أمام هيبَةِ الرب ومن بهاء عظَمَته عند قيامه ليَرعب الأرض".

يتكلّم إشعياء من خلال رؤياه عن يوم الرب يقوم ليرعب الأرض بهيبته وبهاء عظمته وعندئذ تزول عبادة الأوثان بتمامها ويتضع الإنسان له التراب والرماد وشقوق الأرض.

والمعروف أن مجيء الرب الثاني هو مجيء للدينونة ونهاية العالم... فماذا عن ذلك اليوم الذي يتحدث عنه إشعياء... هو يوم انتفاضة للبشرية ورجوع إلى الرب يسوع بعزم القلب... يوم لتجديد الإيمان وانكسار الذات البشرية وزوال الأوثان التي خضع لها الإنسان واستعبد نفسه لها.

وأما هيبة الرب وبهاء عظمته في ذلك اليوم فهو بهاء ومجد المسيح المصلوب الذي سيرجع إليه إسرائيل المرفوض ليكتشف في المسيح بهاء مجد الرب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

في ذلك اليوم سيكتشف بيت يعقوب بهاء عظمة ومجد المسيح المُخَلِّص في التجسد الإلهي الذي أُظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة، فينخفض تشامخ الإنسان أمام بهاء اتضاع المسيح العجيب.

٢٢. "كُفُّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسَمَةٌ، لأنه ماذا يُحسَب؟".

من هو الإنسان حتى تذكره... مولود المرأة قليل الأيام شبعان تعبًا... بره كخرقة الطامث... وأيامه كأشبار وكخيال يتمشى الإنسان على الأرض... وحياته كبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل ومجده كزهر العشب وغناه للصدأ وفضته لغير شبع... أفخر أيامه تعب وبلية.

إذًا كفوا عن الإنسان... ليسكت صوت عظمة نبوخذ نصر الملك الذي تنتفخ به

الذات البشرية قائلة: "هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقوتي واقتداري".

وليصمت صوت الغني الغبي الذي كثيرًا ما يزكى في داخل النفس الاتكال على الخيرات الزائلة قائلاً: "يا نفسي لك خيرات كثيرة لسنين عديدة".

ولتخرس إلى الأبد الأصوات التي تعظم الذات البشرية وتقول لهيرودس: "هذا صوت إله لا إنسان فللحال ضربه ملاك الرب فدوّد ومات".

ولكن العجيب في الأمر أن يشغل هذا الإنسان الزائل اهتمام إلهنا جدًا... وإن كان الإنسان لا يحسب، إلا أنه له حساب في فكر ربنا... وإن كان الإنسان مطروحًا إلى هاوية العدم فمراحم إلهنا في حسابها خلاص الإنسان وتستهين بتكاليفه حتى إلى الصليب.

الأصحاح الثالث

١. "فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزعُ من أورشليم ومن يهوذا السَّند والرُّكن، كل سَند خُبز، وكل سَند ماءٍ".

يا للأسف!!

بدل أن يقال عن أورشليم أنها مستندة على حبيبها ومحمولة على الأذرع الأبدية ومتكلة على الإله الحيَّ.. قيل أنها مستندة على سند خبز وسند ماء ومتكلة على رجال حرب عندها.

وبدل أن يقال أنها تفتخر بالرب وتدعو باسمه... صارت تفتخر بغناها وتتكل على جمالها وعلى وفرة الخيرات الزائلة... وواقع الأمر أن هذه النعم التي تتمتع بها أورشليم من خبز وماء... قد وهبت لها جميعًا بعدما كانت منسحقة في واد الاتضاع في أرض مصر ومتغربة في البرية – ولكن عندما ذهب اتضاعها ونسيت أيام تذلّلها انتفخت ذاتها واتكلت على جمالها استحقت أن تنزع هذه عنها. لأن الرب يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة.. وكما قالت العذراء الطاهرة في تسبحتها الخالدة "أنزل الأعزاء عن الكراسي".

وقد يكون نزع السند والأشياء التي تتكل عليها النفس هى نوع من التجريد عن الباطل لكي تقف النفس عريانة وعارية فتكشف حقيقة نفسها وتعرف طريقها إلى الله.

على أنه من الأمور المُعزية جدًا أن الرب ما نزع شيئًا من أباطيل هذا العالم في حياة أولاده إلا واستبدله بنعمة لا تزول.

فلنتأمل كيف نزع الرب من الشعب سند الخبز من أرض مصر لكي يصير هو لهم خبزًا نازلاً من السماء. فاستبدل خبز مصر بالمن السماوي، وحرمهم من ماء الترع لكي يصير هو ينبوع الماء الحي من الصخرة الدهرية التي لا تنضب.

وأخيرًا قد يكون نزع السند الأرضي والمتكل الترابي نوع من التأديبات التي يستحقها هذا الشعب بتركهم الرب واكتفائهم بخيراته بالعطايا وشعورهم بأنهم أغنياء وقد استغنوا. فلذلك لابد أن يدخلوا في اختبار تخلي وحرمان وجفاف من كل عمل

النعمة وعطاياها.

٢. " الجبَّار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعرَّاف والشيخ.
٣. رئيس الخَمسين والمُعتَبر والمُشيرَ، والمَاهر بين الصُّناع، والحَاذِق بالرُّقْيَةِ".

ماذا ينزع الرب من هذا الشعب؟

١. سند الخبز... فلا شبع ولا ثمر من الأرض، ولا حصاد وإن كانت هذه الأمور جسديًا تؤدي إلى المجاعة والموت فكم يكون الحال من جوع الروح وحرمانها من خبز الحياة!

٢. سند الماء... مثل أيام إيليا... فيصير رجالها يابسين من العطش منطرحين على حافة الهلاك أما روحيًا فالماء دائمًا يشير إلى الروح القدس... فإن انتزع الروح من الإنسان فماذا يكون حاله؟

٣. رجال حرب... قوة الدفاع ضد الهجمات الخارجة... ماذا لو انتزعها الرب؟ من لا ينهب ويسلب ويدخل ويحرق بالنار. أما روحيًا فقوة الدفاع عن أولاد الله هم ملائكة السلامة الذين جعلهم الله خدامًا وأرواح خادمة تحوط بكل خائفيه وتنجيهم وتدافع عنهم وهم صامتون... فماذا لو نزع الرب قوة الحفظ الملائكية التي تحارب عنا التي رآها تلميذ أليشع فقال: "الذين معنا أكثر من الذين علينا".

٤. القاضي والنبي والعراف والشيخ... هؤلاء يشيرون إلى مواهب الروح... العدل والرؤيا للأمور الإلهية والمعرفة والحكمة من طول الأيام – كل هذه أيضًا ينتزعها الرب فلا يصير قضاء ولا كلمة إلهية ولا رؤيا ولا معرفة ولا حكمة فماذا بقى للإنسان إذًا؟ وماذا يكون نصيبه إن ارتفعت عنه هذه الأشياء الموهوبة من الله؟

٥. المعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية... هذه أيضًا المهارات والملكات الإنسانية التي يستودعها روح الله في الأعضاء المختلفة... مثل الذين اشتركوا في بناء الهيكل قديمًا وضع الله فيهم روح المعرفة ومهارة في العمل... فإذا نزعت هذه أيضًا لم يبقى في صفوف الشعب من يعمل عملاً ولا من هو حاصل على موهبة بل يصير الجميع في حال التخلي لأن يد الله لا تمتد إلى أعمالهم.

٤. "وأجعل صبيانًا رؤساء لهم، وأطفالاً تتسلّط عليهم.

٥. ويظِلمُ الشعب بعضهم بعضًا، والرَّجُل صاحبه. يتمَرَّد الصبي على الشيخ، والدّنيء على الشريف".

عندما تغرب اشراقات النعمة يدخل الإنسان في ظلام ويتخبط ولا يعرف أين يمضي لأن الظلمة تكون قد أعمت عينيه.

هكذا يكون مصير هذا الشعب في حال التأديب... اختفت الحكمة وخبى نورها.. فصار الصُبيان رؤساء وتسلم الأطفال مقاليد الأمور وتسلطوا على الشعب.

آه لو يدرك هذا الشعب المسكين مأساة ترؤس الصبيان وتسلط الأطفال!!... يكفي أن يتذكروا مثلاً واحدًا... مأساة رحبعام بن سليمان ومشورة الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا أمامه (١ مل١٢) في زمن رُفضت فيه حكمة الشيوخ ورُذلت مشورتهم بالحق كم قاسى الشعب المسكين في أيامها مرارة الانقسام لأول مرة والحروب الداخلية... لقد اختفى القلب الواحد... ذبلت المحبة... ترعرعت العداوة.

وقد كملت كلمات الرب هذه بفم إشعياء إذ بعد ما مات يوشيا الملك الصالح. تولى بعده الحكم ملوك غاية في الضعف، صبيان في أفكارهم فساءت أحوال الرعية بسبب ضعف الحكام وانحسار روح الحكمة والمشورة والقوة، وكان آخر هؤلاء الملوك صدقيا الذي سُبيَ هو وشعبه إلى بابل.

لقد ضُرب الراعي فتبددت الخراف في أودية الخطية والظلم كل واحد لصاحبه، وتمردت الخراف الصغيرة والدنيئة... وساد سلطان الشر وسط القطيع، لقد كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس مبكتًا إياهم عندما سمع أن فيهم هذا العيب "فالآن فيكم عيبٌ مُطلقًا، لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض. لماذا لا تُظلمون بالحري؟... أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟" (١ كو ٦: ٧ - ٩).

٦. "إذا أمسَكَ إنسانٌ بأخيه في بيت أبيه قائلاً: لك ثوبٌ فتكون لنا رئيسًا، وهذا الخَرابُ تحت يَدك.

٧. "يَرفعُ صوتَهُ في ذلك اليوم قائلاً: لا أكون عاصبًا وفي بيتي لا خُبز

ولا ثوب. لا تجعلوني رئيس الشعب".

إذا نزع السيد رب الجنود كل السند والركن والمعتبر والمشير من أورشليم ومن يهوذا... وقد أصبح الشعب يقاسي محنة التخلي وأيام تأديب الله... فهل هذه الضيقات تكون قد حولت قلب الشعب رجوعًا إلى الرب... وتكون رفعت أنظارهم إلى الجبال من حيث يأتي العون فيطلبون الرب من كل قلوبهم ويلتمسون وجهه بالبكاء والصوم والجلوس على الرماد والرجوع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم فيقبلهم ويغفر لهم؟ هل في ضيقهم سيبحثون عن الرب الذي يخلصهم لعلهم يجدونه؟

من المؤسف جدًا أنهم رغم كل هذا يبحثون عن مخلص بشري ويتكلون على ذراع الإنسان، فيمسك الإنسان بأخيه في بيت أبيه قائلاً – لك ثوب – فتكون لنا رئيسًا وهذا الخراب تحت يديك.

وهنا يبدو واضحًا أنهم اسقطوا الرب الإله من حسابهم فلا ذكر له ولا اسم ولا إحساس به ولا طلب إليه ولا صلاة ولا تضرع نحوه بل في الضيقة يطلبون كل واحد أخيه في بيت أبيه قائلاً: تكون لنا رئيسًا... حقًا قال المرنم: "لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص".

لكن ماذا رأى الإنسان في أخيه من قدرة على الخلاص أو من بادرة أمل في وسط هذا الخراب؟ أليس هو أخيه ابن أبيه وشريكه في الضيقة وفي التأديب.

لك ثوب فتكون لنا رئيسًا: هنا خديعة الإنسان – وهنا كم وقع الإنسان فريسة للسطحية وزيف المظهر والثياب الخارجية إن خزي الإنسان وفقره وفضيحته ونجاسته مُغطاة دائمًا بثوب ولا يرى الإنسان إلا المنظر الخارجي.

حقًا قال الرب لصموئيل "أنت تنظر إلى العينين أما الرب فينظر إلى القلب" آه ما أتعس حال هذا الشعب لقد صار الإنسان الذي يملك ثوبًا مستحقًا أن يكون ملكًا ورئيسًا لهذا الشعب البائس وهذا الخراب، ومع كل هذا يعتذر الإنسان عن قبول مسئولية أخيه بسبب فقره قائلاً: في بيتي لا خبز ولا ثوب ولا تجعلوني رئيس الشعب.

وهنا يخيب رجاء المُتكلين على البشر ويبدو عجز الإنسان في خلاص نفسه

فكيف إذًا يقدر أن يُخلص غيره؟

٨. "لأن أورشليم عَثرت، ويهوذا سَقَطَتْ، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مَجْدِهِ.

٩. نَظر وجوههم يشهَد عليهم، وهم يُخبِرون بخطيّتهم كسدُوم. لا يخفونها. ويلٌ لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًا".

إن حالة أورشليم ويهوذا تتلخص في هذه الكلمات البسيطة فهى في حالة عثرات متكررة بدون محاولة للنهوض، ساقطة من النعمة مجردة من الفضيلة... والعثرة هى الفخ المختبئ في طريق السائر مع الله، أو العوائق التي يضعها عدو الخير لعرقلة الطريق، إن الذين يميلون إلى العثرات ينزعهم الرب مع جميع فعلة الإثم.

وقد قال الرب الويل لمن تأتي بسببه العثرات... ولكن لابد أن تأتي العثرات، ويبدو أن أورشليم في وقتها قد اصطيدت في فخاخ عثرات كثيرة ولا تريد النجاة ولا تبحث عن الخلاص فصارت عثرتها سقوطًا.

ولم تعد عثرة يهوذا وسقطة أورشليم مخفية عن النظر ولكن اتسمت أعمالهم وأقوالهم بالعثرة والسقوط من النعمة في كل شيء فلسانهم وأعمالهم أخذت صورة محزنة مخزية (ضد الرب) والتمادي في الشر بمعرفة أخذ صورة أكثر قباحة "لإغاظة عيني مجده" فمعلوم أن كل شر وكل نجاسة وكل خطية على وجه العموم هى ضد الرب. فمحبة العالم ضد محبة الله. ومحبة المال هى خدمة سيد آخر غير الرب الإله، فلسانهم في كلماته صار عثرة – وصار بالحق نار عالم الإثم مملوء سمًا مميتًا، واللسان دائمًا يكشف عن الكنز القلبي لأنه من فضلة القلب يتكلم، فأورشليم في عثرتها بعيدًا عن الرب ويهوذا في سقطتها في الخطية صار لسانهما لسان عثرة وكلامهما بلا نعمة وبلا ملوحة أو بدل أن يكون لسان بركة صار ضد الرب كشهادة عليهم.

أما أعمالهم فهى أعمال جسدية عالمية ... أعمال ليس فيها محبة ولا رحمة ولا حنو – فهى ضد الرب وفيها رائحة الذات البشرية فهى ضد الرب.

لإغاظة عيني مجده: هم يعرفون من هو الله – وعندهم وصاياه ولهم العهود والشريعة والأنبياء... فهم مثل ولد عاق يعرف مسرة أبيه وإرادته ولكنه يخالف عن عمد لإغاظة أبيه!

ولكن حقيقة الأمر أن الابن في هذه الحالة لا يضر بأبيه، ولكنه هو الذي سيفقد تمتعه بالآب ويدخر لنفسه غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

نظر وجوههم يشهد عليهم... وليس فقط لسانهما وأفعالهما هى ضد الرب لإغاظة عيني مجده بل أكثر من هذا يكفي أن تنظر إلى وجوههم، تجد بصمات الشر واضحة وملامح الخطية...! نعم أن أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس.

لقد ارتسم سلام الله ولمعان النعمة على وجوه رجال الله القديسين فأضاءوا بالنور مثل موسى واستفانوس الذي رأوا وجهه كوجه ملاك وعلى العكس فإن الحياة بعيدًا عن الله وتحت سلطان روح الظلمة يترك على الوجه ملامح الشر وقسمات الخطية.

وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم ولا يخفونها... هذا يبين درجات الوقاحة والجرأة في الشر والفجور في عمل الخطية بلا خجل ولا حياء. بل إذ عرفوا حُكم الله أن الذين يعملون الخطية يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضًا يسرون بالذين يعملون ويتباهون ويحدثون بخطيتهم مثل رجال سدوم الذين ادخروا لنفوسهم غضب الله... أما الخجل والحزن ومحاولات التوبة فاختفت من حياتهم فاستحقوا أن يجنوا ثمار زرع الشر.

واقتنوا لأنفسهم كلام دينونة الله العادلة القائل ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًا.

١٠. "قولوا للصِّدِّيق خيرٌ! لأنهم يأكلون ثمَر أفعالهم".

لا ينسى الرب مختاريه ولا يهمل أتقياءه بل في أيام القحط يعولهم بخبز وماء ويعزيهم لأنهم له... هكذا أيضًا في وسط انسكاب غضب الرب الذي أعلنه بفم حزقيال النبي قيل للملاك أُعبر في وسط أورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين

يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات (حز ٩).

فالصديقون محفوظون في وسط الضيق، لأنه يعرف الرب الذين هم له، ويعرف أن يخلصهم، وينجيهم من الخطاة لأنهم توكلوا عليه.

والصديق ينجو من خبر السوء ومن شر يُسلَك في الظلمة ومن غضب الدينونة وذلك في وسط عواصف الدينونة المخيفة.

قيل لأولاد الله ارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب... هكذا قولوا للصديق خير... وهذا يعزي أولاد الله عندما يحوطهم الشر من كل جانب وكأنه لا خلاص وكأن أبواب سدوم قد أُغلقت إلى الأبد وكأن البار لوط سيظل يعذب نفسه كل يوم بالسمع والنظر مغلوبًا على أمره حسب الظاهر من سيرة الأشرار.

كلا، فللخلاص وقت معد من قبل الله والخير الإلهي وإن أتى أخيرًا ولكنه سيأتي ولا يبطئ في قدومه وخلاص الأبرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمان الشدائد.

قولوا للصديق لوط خير، وليوسف العفيف خير، ولأيوب البار خير، وللسبعة آلاف ركبة التي لم تنحن للبعل خير... ولكل الذين يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع ويحتملون أتعابًا في هذا العالم خير.

لأن الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة بل سيأكلون ثمر أفعالهم ويجنون ثمر صبرهم وضيقهم وآلامهم ميراثًا لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظًا لهم في السموات.

١١. "ويلٌ للشرير. شرٌّ! لأن مُجازاة يديه تعمل به".

أما الأشرار فأيضًا ستأتي المجازاة... فلا يحسبون الرب متباطئ في تنفيذ وعوده وتحقيق كلامه... بل هو متمهل عليهم. قال معلمنا بولس الرسول: "أم تستهين بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته غير عالم إنما لطف الله يقتادك إلى التوبة".

وإن كانت لا توجد هناك إشارة ولا إنذار ولا توجد كلمة (قولوا) كما قيل للصِّدِّيق، بل ويل للشرير لأن الهلاك والويل يفاجئه بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجو.

١٢. "شعبي ظالِمُوه أولادٌ، ونساءٌ يتسلَّطن عليه. يا شعبي، مُرشِدوكَ مُضِلُّون، ويبلَعُون طريق مسَالكِك".

هنا تظهر مسئولية الرؤساء والمرشدين في الشعب كم هى مخيفة وجسيمة ... فالشعب مثل الغنم والمسئولون كالرعاة فإن ضل خروف فالراعي يبحث عنه ولكن إن ضل الراعي نفسه هلكت الغنم جميعًا، وأخيرًا يطلب الرب دم الغنم من هؤلاء المسئولين.

إن الرؤساء في الشعب قد صاروا أولادًا في أذهانهم... أولاد في تصرفاتهم بلا حكمة وبلا مشورة إلهية... فجاءت أحكامهم مجحفة وظالمة للشعب... هذا بالنسبة للحياة الزمنية وأحكامها – عندما اختفت الشريعة الإلهية من قلب الرؤساء ومن أذهانهم ظلموا الشعب بالأحكام البشرية.

أما المرشدون فهم الأنبياء الذين يوضحون أمام الشعب طريق الحياة الأبدية ويفصلون كلمة الحق... لأن أحكام الوصايا الإلهية من فمهم تُطلب وهنا الرب يعلن لشعبه هذا الإعلان الخطير "يا شعبي مرشدوك مضلون"... لقد دخل روح الكذب في أفواه الأنبياء... فأضلوا الشعب وأبعدوه عن طريق الحياة ودفعوه للموت... كما حدث في أيام آخاب ملك إسرائيل الذي سأل الأنبياء (٤٠٠ نبي) قائلاً: أأذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع؟ فقالوا: اصعد فيدفعها السيد ليد الملك.

وكان هذا روح كذب في الأنبياء فصعد آخاب إلى الحرب وجرح ومات وتشتت الشعب وانكسر أمام العدو.

ما أخطر خطايا الرؤساء وما أبشع ضلال المرشدين أن الخطر يكمن في إنقياد الشعب وراء الضلال بلا معرفة إذ يقولون له سلام سلام ولا سلام.

ويل لشعب يضله مرشدوه... يبررون الفاجر ويستذنبون البريء ويتملقون الرؤساء ويعوجون الطرق المستقيمة... وهنا الرب ينادي الشعب مباشرة "يا شعبي مرشدوك مضلون... فلا تتبعوا خطواتهم" المرشدون الحقيقيون هم السائرون في دروب الحق... يحفظون الوصايا في حياتهم كما قال بولس الرسول: "تمثلوا بي كما أنا بالمسيح أيضًا"، فهم يكرزون بحياتهم أما إن زاغوا عن طريق الحق فقال ربنا يسوع المسيح: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون" (مت ٢٣: ٢-٣).

١٣. "قد انتصب الرب للمُخَاصَمة، وهو قائمٌ لدينونة الشعوب.
١٤. الرب يدخُل في المُحَاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم: وأنتم قد أكلتم الكرم. سَلَبُ البائس في بيوتكم.
١٥. ما لكم تسحَقُون شعبي، وتطحَنُون وجُوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود".

لقد نبه الرب شعبه وأنذرهم بكلمته قائلاً: يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلعون طريق مسالكك وهم إن سمعوا وإن امتنعوا، ثم بعد ذلك تأتي دينونة الله العادلة.

فلطف الله وطول أناته أولاً ثم الدينونة، كما كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح... بالحق كم أطال الله أناته على شعوب وأمم وأفراد وأمهلهم وانتظر توبتهم وتمنى رجوعهم... وإذ لم يتوبوا وقعوا تحت دينونة رهيبة.

وتعبيرات الدينونة تشير إلى أن الوقوع في يدي الله هو مخيف جدًا... فهو قد انتصب للمخاصمة والمحاكمة وهو قائم للدينونة... وعندما يقال أن الله يقوم وينتصب للدينونة، من يا ترى يستطيع أن يقف أمامه أو من يقدر أن يتكلم – كل فم يستد وكل قلب يذوب يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا.

محاكمة الرؤساء: وتأتي دينونة الشيوخ والرؤساء أولاً لأن الذي يودعونه كثيرًا يطالب بالأكثر والعبيد الذين أعطاهم الرب الوزنات عاد وحاسبهم والذي أخذ الخمس وزنات حاسبه أولاً.

إن شيوخ الشعب والرؤساء هم الكرامون الذين قال الرب فيهم المثل – فلما قرب وقت الثمار أرسل الرب عبيده (الأنبياء) إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك. قال الرب لهم (أنتم أكلتم الكرم)... إن عمل الرؤساء في الشعب والمدبرين أن يجمعوا ثمرًا للحياة الأبدية كما قال الرب: أرسلتكم لتأتوا بثمر كثير لحساب ملكوت الله، أمَ شيوخ الشعب ورؤساؤه فجنوا الثمر

لأنفسهم وخدموا ذواتهم كما قال الرب بفم حزقيال النبي: رعى الرعاة أنفسهم... تأكلون السمين وتلبسون الصوف ولا ترعون الغنم (حز ٣٤).

سَلَبُ البائس في بيوتكم: حسنًا قال الرب للفريسيين تأكلون بيوت الأرامل. تصفون عن البعوضة وتبلعون الجمل.. إن ربنا يقول أريد رحمة لا ذبيحة – أما الرؤساء فسلموا البائسين. إن قصة داود النبي مع امرأة أوريا الحثي ستظل شاهدة على غيرة إلهنا المنتقم للمساكين والذي يطلب دم الأبرياء وحق البائسين مهما سُلب.

وهكذا أيضًا ستظل أرض نابوت اليزرعيلي التي اغتصبها آخاب الملك شاهدة على أن الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب المساكين والبائسين. إن إلهنا يدخل في المحاكمة مع الرؤساء ويقيم دعوى البائس ومن يد الرؤساء يطلب دم المجهولين والمحتقرين.

ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين: يقول السيد رب الجنود ليس فقط أكل الكرم وتحويل الثمر لحساب الذات البشرية وليس فقط سلب البؤساء وظلم المساكين.

ولكن الرب ينتقم ويحاكم من أجل مشاعر أولاده المساكين والبائسين يقول المرنم في المزمور: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية".

إن أنات المظلومين محسوبة عند إلهنا بل أيضًا تنهدات البائسين لها عند ربنا اعتبار، من أجلها يقوم ويعمل الخلاص.

قال يعقوب الرسول "يا إخوتي، لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في المحاباة. فإنه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في لباس بهي، ودخل أيضًا فقيرٌ بلباس وسخ، فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له: اجلس أنت هنا حسنًا. وقُلتم للفقير: قِفْ أنت هناك أو اجلس هنا تحت موطئ قدمي... اسمعوا يا إخوتي الأحباء: أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت... وأما أنتم فأهنتُم الفقير".

إن رؤساء الشعب لا يعلمون أن ربنا قد دعى البائسين إخوته الأصاغر وأنه

يقول: ما فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي قد فعلتم، ألا يعلم رؤساء الشعب أن من يعطي الفقير يقرض الرب.

إن معاملتنا لإخوتنا المساكين محتاجة إلى مراجعة... أن السيد رب الجنود سيحاسب كل من يؤذي مشاعر أحد المساكين بكلمة أو يجرح شعوره بحركة حتى ولو أعطاه كل حاجات الجسد.

١٦. "وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامَخن، ويمشِينَ ممدُودات الأعناق، وغامِزات بعيونهنَّ، وخاطرات في مَشيهنَّ، ويُخَشْخِشنَ بأرجُلهنَّ.

١٧. يُصْلِع السيد هامَةَ بنات صِهيَون، ويُعرِّي الرب عورَتهنَّ".

بعد أن دخل الرب في محاكمة الرؤساء في الشعب ودينونة المرشدين يعود الرب ويفند خطايا الشعب ويقوم لدينونة الشعب ذاته...

وأمام هيبة ربنا ونور مجده تنكشف خطايا الشعب بتفاصيل وتظهر جذور الشر المتأصلة في حياتهم.

الكبرياء: مبدأ الخطايا ومنبعها هو الكبرياء... الحية القديمة، خطية الخطايا وأصل الداء المهلك. فبنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق.

ذات متعظمة ومتعالية ومنتفخة – قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح... هذه مقدمة النهاية أن تفرخ الكبرياء في الذات البشرية وتضخمها – هذه بداية انكسار نبوخذنصر الملك، هذا هو البرج الذي إذا ارتفع عليه الإنسان سقط من النعمة وتبلبل لسانه وعجز عن الكلام بالحق الإلهي.

ممدودات الأعناق: أين نير السخرة في أرض مصر أين النفس المنسحقة والقلب المنكسر أمام الرب، أليس مكتوبًا أن من يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله (دا ٤).

منظر بنات الناس: هل هذا هو منظر بنات صهيون – أم هو شكل المؤابيات

والعمونيات والأمم الغريبة، أين وداعة رفقة؟ أين النساء المتوكلات على الله؟ أين أُمكم سارة وخضوعها؟

خير للإنسان أن يعلق بعنقه حجر الرحى ويلقى في اللجة من أن يكون سبب هلاك الآخرين.

الزينة الخارجية وعدم الاهتمام بالداخل: قال الروح القدس: لا تكن زينتكن هى الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب... بل زينة الروح الوديع الهادي الذي هو قدام الله كثير الثمن. أما بنات صهيون فانصرفن عن زينة الروح والتحلي بالفضائل ومعرفة الله إلى الزينة الخارجية والاهتمام بالمظهر.

قدموا أعضاءكم آلات بر لله: كل عضو له عمل له نفع من أجل مجد الله خُلق. فإن عشنا بالروح صارت أعضاؤنا أعضاء المسيح كآلات لبره وأداة لتنفيذ مشيئته الصالحة. فالعين واليد والرجل وسائر الأعضاء ليست للخطية ولا للزنى بل للرب.

ولكن إن وقعت أعضاؤنا فريسة في يد العدو استغلها لحساب الشر وصارت أعضاؤنا في حالة العثرة أو صارت هى نفسها عثرة وعار. هكذا بنات صهيون بعن أنفسهن للشر وصارت أعضاؤهن آلات إثم وآلات شر فهن **غامزات بعيونهن** كما قيل: لهم عيون مملوءة شرًا لا تكف عن الخطية، **ويخشخشن بأرجلهن.**

ما أبعد الفرق بين هذه الأرجل، والأرجل المحتذية باستعداد إنجيل السلام المُبشرة بالخيرات السائرة في طريق الرب بلا مانع.

الدينونة: لو أن هذه الأعضاء قد دينت من أصحابها ما وقعت تحت دينونة من الله قط، ولو أن روح التبكيت والرجوع إلى الله وجد آذانًا من هذا الشعب ما وقف الشعب مطلقًا إلى موقف الدينونة الرهيب هذا.

يصلع الرب هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن: وأنت يا كفر ناحوم أترتفعين إلى السماء أنك ستنحطين إلى أسفل الجحيم. إن كان الشعر قد أُعطى للمرأة

عوض برقع (١ كو ١١) وأنه قبيح بالمرأة أن تحلق.. فكم يكون قبحها عندما يصلع السيد هامتها... وينزع تاج جمالها – حقًا قال الرب للنفس "خرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك، فإذا نزع الرب بهاءه رجعت النفس إلى قبحها الأول ورذالة نفسها وكراهتها. ربما أيضًا (يصلع رأسها) أي ينزع قوتها كما حدث لشمشون عندما ذهبت قوته وصار هزءًا للفلسطينيين – هكذا النفس إذا تركت في يد أعدائها وتخلت عنها النعمة يعري عورتها ينزع عنها ستره... ألم يجد الرب هذه النفس ملقاة على وجه الحقل عريانة فبسط عليها ذيله وستر عورتها فماذا لو لم تدم النفس في حضن الله وحجال الملك وستر حبه – تنكشف قباحتها وتنفضح خطاياها.

١٨. "يَنزعُ السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضَّفائر والأهِلّةِ.
١٩. والحَلَقِ والأساور والبَرَاقِع.
٢٠. والعصائب والسّلاسل والمناطِق وحناجر الشَّمَّامات والأحرَاز.
٢١. والخواتِم وخزَائم الأنف.
٢٢. والثياب المُزخرَفَةِ والعُطْف والأرديَةِ والأكياس.
٢٣. والمرائي والقُمْصَان والعَمَائم والأزُر".

هذه الزينة التي جعلها الله على النفس، ألبستك مطرزة "ثوب البر في المعمودية"، ونعلتك بالتخس "إنارة الإنجيل"، وأزرتك بالكتان "الطهارة"، وكسوتك بزًا "تبررات القديسين"، وحليتك بالحلي "الفضائل والكمال المسيحي"، فوضعت أسورة في يديك "مخطوبة للمسيح"، وطوقًا في عنقك "عربون الطاعة"، ووضعت خزامة في أنفك "نعمة الإفراز والتمييز"، وأقراطًا في أذنيك "نعمة السماع للكلمة والصوت الإلهي"، وتاج جمال على رأسك "إكليل المجد الذي لا يبلى".

بعد أن نزع الرب الأمور الخارجية المعبر عنها بسند الخبز وسند الماء والقوة الخارجية المعبر عنها بالجبار ورجل الحرب. ينزع الرب هذه المرة كل زينة النفس فتصير مكروهة في عين الذين ينظرون إليها ويبغضها مشتهوها.

+ الأرجل التي لم تستقيم في طريق السلام بل سعت إلى سفك الدم واغترت بقوة

ساقي الرجل وصارت تمشي تخشخش وتتباهى وتعتز في مشيتها متكلة على جمالها، تنزع عنها زينة الخلاخيل فتصير بلا زينة.

+ شعر الرأس الذي وهب بدل برقع الذي نبت فوق الرأس العارية فتحلى بضفائر ذهب وأهِلة ذهب للزينة والزنى، ينزع هذا البرقع وتصير الرأس صلعاء مكروهة بلا زينة وبلا منظر ولا جمال.

وهكذا الأشياء والأعضاء التي لم تستخدمها لمجد الله وتحولت للعمل البشري والبعد عن الله المُعبَّر عنه بالزنى الروحي. هذه الأعضاء تقع تحت دينونة مخيفة تنزع زينتها.. الأنف التي تلذذت بروائح العالم. الأذن التي مالت بعيدًا عن صوت الحبيب الأيدي والأرجل وبقية الأعضاء التي استخدمتها ابنة صهيون في اغاظة عيني مجد الرب... ستدان.

ما أجمل تعبير بولس الرسول الذي يسمي أعضاءنا أعضاء المسيح ويستنكر قائلاً: "أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية".

هنا غيرة الروح القدس الذي يغار على النفوس التي يزينها بزينة الروح ثم تعمل وتسلك جسديًا – هذه النفوس تحسب نفسها في عداوة مع الله لأن الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الغيرة لأن محبة العالم عداوة لله.

فمن أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدوًا لله أما ثياب البر التي كست النعمة بها النفس البشرية فسترت عريها وغطت عارها – فهذه أيضًا تنزع منها فتتعرى من كل عمل للنعمة وكل فضيلة وكل عمل صالح.

الثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائي والقمصان والعمائم والأزر.

وهنا نلاحظ غنى إمكانيات النعمة وسخائها في تنوع أنواع الثياب التي تغطي بها النفس وتسترها.

فهناك الحُلة الأولى التي ذكرها الرب في مثل الابن الضال.

وهناك ثياب العرس التي ذُكرت في مثل العرس التي تؤهل النفس لحضور العرس الأبدي والوجود أمام الله بلا مانع.

وهناك ثوب الملكة الموشّى بالذهب، المتزينة بأشكال كثيرة وهنا يقول ثياب مزخرفة وأردية كثيرة وقمصان وعمائم وأزر فبعضها يلائم الجسم والآخر يؤازر الوسط لعمل الخدمة الروحية وآخر عمائم للرأس.

ما أكثر أسرار عمل النعمة في النفس وما أقسى أن ينزع الرب عن النفس ثيابها فتظهر أمام الملائكة في خجل في يوم الدينونة العظيم.

٢٤. "فيكون عِوَض الطِّيب عفونَةٌ، وعِوَض المِنطَقَةِ حَبْلٌ، وعِوَض الجدائل قَرْعَةٌ، وعِوَض الدِّيباج زُنَّار مِسْح، وعِوَض الجمال كيٌّ !".

فيكون عوض الطيب عفونة: الطيب أصلاً هو رائحة المسيح الزكية، والمسيح بوصفه رأس الكنيسة انسكب الطيب الكائن منه إلى اللحية حتى أسفل القدمين.. وانحدرت رائحة المسيح العطرة على طبيعتنا بتجسده الطاهر.. فصرنا رائحة المسيح الزكية لله في الذين يخلصون والذين يهلكون.

واسمه المبارك الذي دعيَ علينا صار لنا دهنًا مهراق لذلك انجذبت نحوه النفوس وأحبته العذارى.

أما بنات صهيون فقد رفضن عريسهن وذهبن وراء آخر – وراء العالم، فتخلّت عنهن النعمة المعزّية ورفضهن العريس ولم يعد يسكب أطيابه وأدهانه عليهن فاختفت منهن رائحة المسيح الزكية وللحال ظهرت رائحة الطبيعة البشرية المملوءة عفونة.

إن كل رائحة طيبة في حياتنا مصدرها النعمة الإلهية وكل رائحة عفونة أصلها طبيعتنا البشرية، فإن ظهرت رائحة الطيب صار هذا دليلاً على مؤازرة النعمة وإن بدت روائح النتن فهذا دليل على أننا نسلك بذواتنا ونخبئ ثمار كريهة من اللحم والدم القابل للعفونة.

وعِوَض المنطَقَة حَبْلٌ، وعِوَض الجدائل قَرْعَةٌ، وعِوَض الدِّيباج زُنَّار مِسْح، وعِوَض الجمال كيٌّ: وهكذا أيضًا كمثل الطيب والعفونة يكون أمر المنطقة "حزام الوسط" والحبل – إذ ينزع الرب المناطق التي تزينت بها بنات صهيون ويستبدلها بحبل، وجدائل الشعر تنزع وتصير بدلاً منها قرعة في الرأس، وديباج

الحريـر الـذي يوضـع علـى الكتـف أوقـات الفـرح والسـرور يسـتبدل بزنـار مسـح وحزن، وجمال الوجه يستبدل بكيَّ نار يشوه منظرها فتصير مكروهة بلا جاذبية ولا جمال.

لقد جرد الرب بنات صهيون من كل زينتها فظهر قبح منظرها واختفى مجدها وزال عنها عزها... ما أحوجها الآن إلى ينبوع دموع إرميا النبي ليبكي ليلاً ونهارًا قتلى بنت شعبي– وإن كان نزع هذه الأمور الجسدية يستوجب البكاء والنوح فكم يكون الحال مع النفوس التي تركت محبة ربنا واحتقرت صليبه وذهبت وراء العالم واستحقت أن تنزع منها هذه الأمور روحيًا فتصير خرابًا إلى أبد الآبدين.

فالمنطقة: هى حزام الوسط للقيام والسهر في الصلاة والتسبيح.
والجدائل: هى فخر النفس وزينتها بالفضائل.
والديباج: هو مؤازرة روح الفرح والتنعم الروحي.
والجمال: هو ارتسام نور وجه الله على النفس.
فماذا لو فقدت النفس هذه النعم ولو صارت مجردة منها؟

٢٥. "رجَالك يسقُطون بالسَّيف، وأبطالُك في الحرب.
٢٦. فتَئِنُّ وتنُوح أبوابها، وهى فارغَـةً تجْلس على الأرض".

يعود إشعياء النبي فيجمل القول في عبارة بسيطة للمدينة التي تركت إلهها واستهانت بقدوسها – فتركها الرب وتخلت عنها نعمته، وينبئها بما سيكون لها ويحل بها. يسقط رجالها بالسيف ويقع أبطالها قتلى في الحرب فتنكسر وتنهزم فتئن وتنوح أبوابها المحبوبة وتصير فارغة ومذلولة جالسة في التراب – وهذا ما حدث فعلاً في أيام السبي بعد ذلك بزمن ليس بكثير فقتل رجالها وسبيَ شعبها.

وصارت فارغة خاوية أبوابها محروقة بالنار تئن وتنوح بلا صوت مسموع وصارت مجرد سيرتها سبب الدموع والحزن وكآبة القلب في حياة أولاد الله مثل نحميا.

وإن كان هذا أيضًا من جهة أخرى يشير إلى البشرية كلها التي انهزمت في حرب الخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء وظلت البشرية تئن وتنوح

متوجعة من سلطان الشر وسطوة الشيطان وهى ساقطة تحت سلطانه كمدينة فارغة جالسة على التراب لا تقوى على مقاومة.

إلى أن افتقدها المُشرق من العلاء فبدّل حزنها فرحًا وضعفها قوة وفراغها إلى ملء الروح القدس.